منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2381) السنة التاسعة - الاربعاء (1) شباط 2012

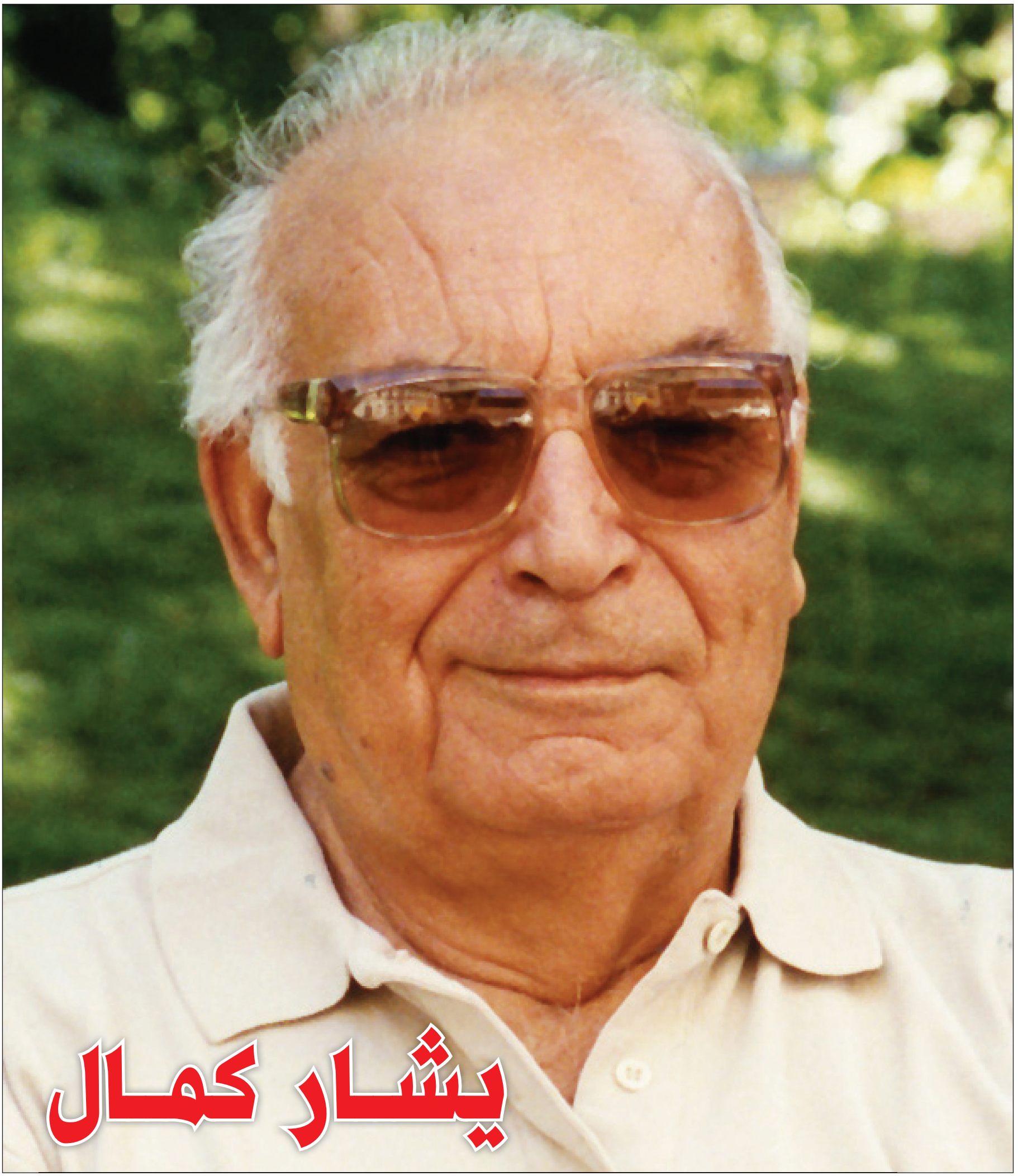

يشار كمال

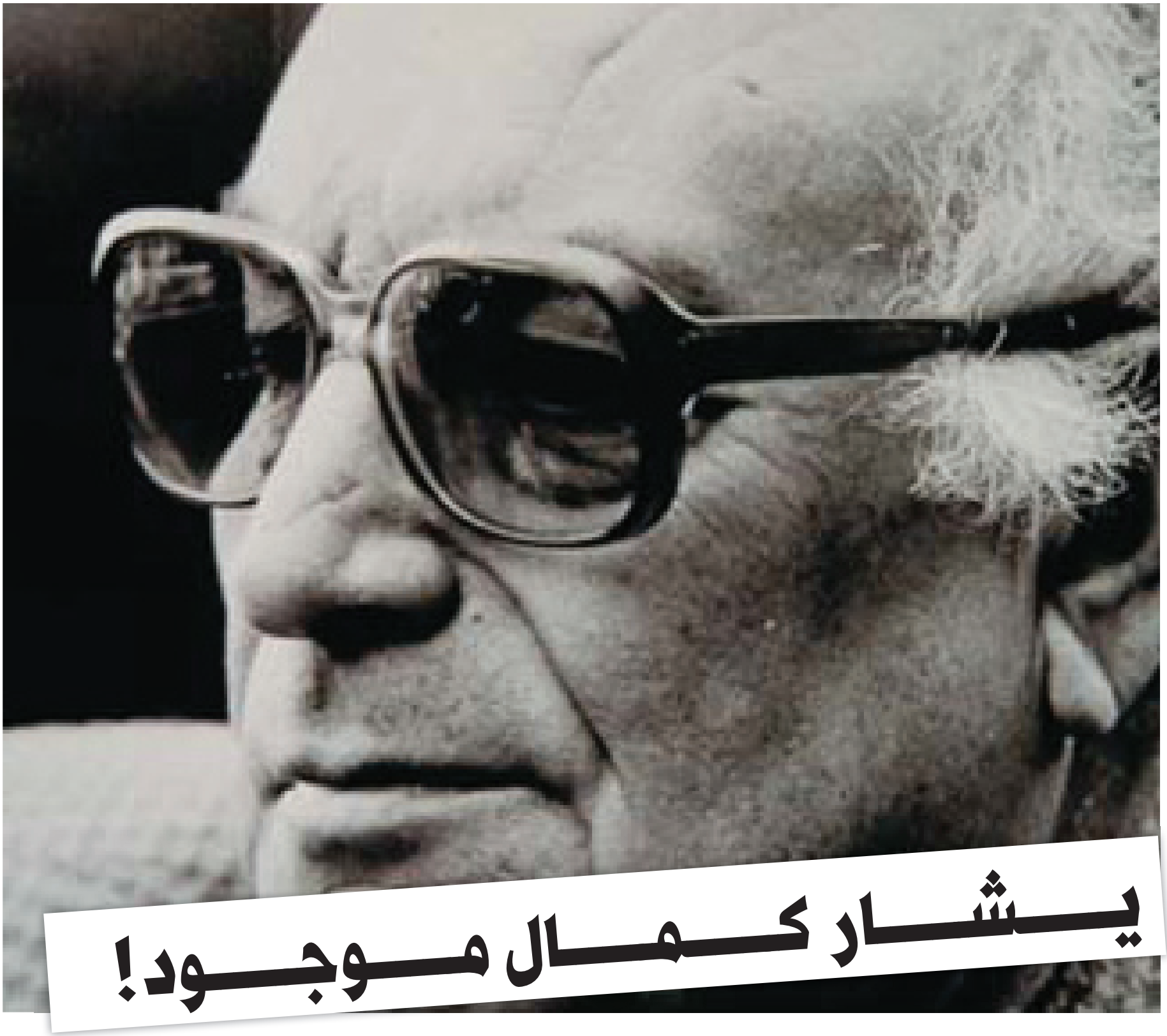

يشار كمال موجود!

سأخصص عمودي لهذا اليوم ليشار كمال. عند قراءتي لحوار أجراه جم أرجيش مع الأستاذ يشار كمال والمنشور في صحيفة راديكال، قلت في نفسي " جميل أن يشار كمال موجود! سأحاول الوقوف عند بعض النقاط التي طرحها يشار كمال خلال الحوار، والذي يبدوأنه لفت إنتباه كل من رئيس الجمهورية عبد الله غول ورئيس الوزراء رجب طيب أردوغان. يقول يشار كمال تأتي القضية الكردية في مقدمة جميع القضايا في تركيا. القضية الكردية هي قضية تركيا المعاصرة وهي قضية تركيا الديمقراطية.

الكاتب : حسن جمال
الصحيفة : ملليت
الترجمة : دلشا يوسف

لقد دخل الكرد في حروب عدة خلال (١٠٠٠) سنة. وقاموا بإنتفاضتين في القرن التاسع عشر. أما في العهد الجمهوري فقاموا بـ (٢٩) إنتفاضة. هناك أخطاء كبيرة أقترفت، حيث تم إنكار وجود الكرد تماما. وبعد إنتهاء كل حرب أوإنتفاضة، تم النظر إليهم بإحتقار وكعبيد للترك. وكل من لديه الرغبة في معرفة هذه الحقائق ليراجع الصحف الصادرة بعد إنتفاضة آغري.

إن النظر بإحتقار لإنسان أو لشعب، وعدم إعتباره من الإنسانية، يعد أمرا أسوأ من القتل بذاته".

يقول يشار كمال:

لم يفكروا أبدا في أسباب بقاء هؤلاء الرجال في الجبال على مدى هذه السنين الطويلة. منذ ثمانين عاما ولم تهنأ المنطقة بالإستقرار. قام الكرد بعصيانات برغم معرفتهم بأنهم لن ينتصروا، وبرغم التضحيات الجسام التي بذلوها في هذا الطريق.

منذ شبابي وحتى الآن قلت دائما أن العالم حديقة ثقافات تزهو بآلاف الزهور. وعند قطفنا لثقافة واحدة من هذا العالم، يعني زوال لون، رائحة وثراءٍ من عالمنا هذا.

يقول يشار كمال:

يقاوم الكرد من أجل حقوقهم الثقافية ولغتهم الأم، والحكومة تقول أنهم يطالبون بالإستقلال. وفي حال منحنا إياكم حرية الثقافة واللغة سوف تطالبون بالإستقلال أيضا. ورحى الحرب القذرة دائرة منذ سنوات". يقول يشار كمال:

بني الإنسان متفائل دائما، وحب الحياة داخل الإنسان خالد أبدا. وأنا متأكد من أن الناس الذين يعيشون فوق أرض هذا الوطن الغني بالثقافات العظيمة، لن يبقوا على حالهم، بل سيجهدون من أجل إخضرار هذه الأرض المعطاءة للثقافات من جديد، للعثور على ديمقراطية حقيقية تسهم وتساند الشعوب المناضلة في سبيل توطيد أواصر الديمقراطية في بلادهم.

يقول يشار كمال:

بإمكان تركيا ديمقراطية، أن تقدم الدعم الكبير للإتحاد الأوروبي. إن عدم حل القضية الكردية أضعف من شأن تركيا بين القوى العالمية. ويقف الإتحاد الأوروبي مذهولا ومحيرا تجاه تركيا. إن مسؤولي تركيا يهابون الديمقراطية. ففي دولة ديمقراطية لا يمكن تخيّل شخص واحد محروما من حقوقه الإنسانية، فما بالك بـ (٢٠) مليون إنسان.

يقول يشار كمال:

يعلم الجميع طريق الحل، أوعلى الأقل المسؤولين المعنيين بصنع الحل، لا بد من قبول حقوق الإنسان الذي يعتبر عنصرا حياتيا في عالمنا المعاصر، ويتوجب قبول الديمقراطية العصرية كحقيقة، بجرأة ومن دون مهابة أوتلكؤ. على الجميع أن يحصلوا على هويتهم وحقوقهم الثقافية بحرية، وعدم إعتبار ذلك من ضروب اللطف، بل بصفتها تشكل أحد دعائم الثراء الثقافي لهذه البلاد، وبإختصار على تركيا أن تتحول إلى بلد ديمقراطي معاصر.

يقول يشار كمال :

ما أود قوله هو، ما دام جوهر الحل واضحا ونقيا بهذا القدر، لا لزوم لحكماء ووسطاء أوما شابه. الأمر الوحيد والضروري هوخلق إرادة سياسية مقتدرة وجريئة، عالمة بأن أية سياسة قائمة على الخوف والترهيب ستنتج العجز.

يقول يشار كمال:

نحن نعلم بالقوة التي تصنع الأمل والإنسان، وسيظهر يوما ما للعيان القوة الكامنة في أمل الإنسان آجلا أم عاجلا، وهذا الأمل الجديد سيفرح الناس.

من الجميل أنك موجود يا أستاذ يشار كمال!

أنت ضمير الإنسانية كونك تتحدث من أعماق قلبك.

(أسطورة جبل آغري) .. قصة حب بدأت مصادفة، وانتهت بالألم...

في روايته "أسطورة جبل آغري" التي صدرت ترجمتها عن دار بدايات السورية (جبلة-٢٠٠٥) يستلهم الروائي الكردي التركي يشار كمال أجواء الملاحم الأسطورية التي تحفل بها ثقافات العالم. يقدم نصا أسطوريا مأساويا، أقرب إلى الحكايات والسير الشعبية التي تروى شفاها ويتوارثها الأجيال. يشار كمال، الذي رشح مرارا لنيل جائزة نوبل في الآداب، يختار رقعة جغرافية معروفة: جبل آغري والمناطق الكردية المحيطة بها مثل وان، هكاري، موش، تبليس...والقرى المتناثرة على السفوح في جنوب شرق تركيا حيث يقطن الأكراد. يغزل خيوط حكايته في هذا الفضاء المتخم بالعادات والتقاليد والطقوس والأعراف المتوارثة. القدر يصنع المصائر، والأعراف تحدد السلوك والممارسات. ولئن ظهر بطل أسطوري فلأن القدر قد أختاره، ولأن العناية الإلهية تدخلت فوهبت للبطل صفة البطولة.

ابراهيم حاج عبدي

"أنا الفرد" خاضع لإرادة الجماعة

الرواية، التي ترجمها شوكت أقصو، تتناول في خطوطها العامة قصة حب خاصة ربطت بين أحمد وكول باهار(أي "زهرة الربيع" بالكردية) ابنة الباشا الكردي محمود خان الموالي للعثمانيين. ثمة مصادفة لعبت الدور الرئيس في ميلاد هذا الحب. الشاب أحمد الريفي البسيط، الذي يسكن في قرية سوريكا المنسية على أطراف جبل آغري، يجد ذات صباح أمام بيته المتواضع حصانا أصيلا غاليا ذي سرج جميل مطرز بالفضة يوحي بان الحصان يعود لأحد أصحاب الجاه والنفوذ. العرف يقول بان الحصان الذي يختار باب أحد البيوت ويقف عنده، فهذا يعني بأنه هدية لصاحب البيت من الله ولا يجوز، بأي حال، التفريط به حتى وإن ظهر صاحبه الحقيقي وطالب به. والعرف يطالب، كذلك، بان يبعد صاحب البيت الحصان ثلاث مرات، فإن عاد في كل مرة فهو له، وهكذا فعل أحمد وعاد الحصان في المرات الثلاث.

علم صاحب الحصان محمود خان، باشا قرية بيازيد، بالأمر، فأرسل رجاله لاستعادة الحصان مع رسالة تفيد بأنه على استعداد لأن يدفع لأحمد من المال قدر ما يشاء. يكون الرد فليطلب الباشا الروح، لكن الهدية (الحصان) لن يحصل عليها!" يتدخل باشاوات الكرد لحل الخلاف لكن الأعراف أقوى من جميع الوساطات منذ أن خلقت الدنيا، من ذا الذي أعاد حصانا وقف على بابه؟" غير أن محمود خان البالغ القسوة، صاحب الأنف المدبب والمعقوف كمنقار النسر، يشن هجوما ساحقا ويحرق بيوت البسطاء الذين هربوا مع أحمد بعد التهديد إلى منطقة هكاري حيث أكراد شمدينان. برغم الدمار تخفق الحملة في العثور على الحصان، ولم يعثر المهاجمون إلا على شيخ طاعن في السن يلقب بـ "الصوفي" فيكون السجن من نصيبه.

للباشا ثلاث بنات جميلات، هن كوليستان، وكولي زر، وكول باهار، الأخيرة تخاطر بنفسها وتزور الصوفي السجين لتعلم منه حكاية الشاب أحمد الذي رفض الانصياع لأوامر والدها الباشا. شجاعة الشاب تثير في نفس الفتاة الجميلة، التي تضحك بنعومة، الإعجاب. تصل الباشا أنباء عن مكان اختباء احمد، فيرسل ابن أحد الباشوات في طلبه. وبرغم انه قال للرسول بأنه أعفى عن الشاب المتمرد، وعن القرويين لكن عندما يصل احمد إلى قصر الباشا يكون السجن مصيره، فالباشا لا يعرف الوعود والعهود، ويمهل الشاب السجين أربعين يوما حتى يعود حصانه أو سيكون مصيره الإعدام.

تلتقي كول باهار بحبيبها أحمد في السجن القريب من قصر الباشا، هذه مغامرة قاتلة تقدم عليها العاشقة، وما كان ذلك ليتم لولا تعاطف ميمو، رئيس السجانين، مع رغبتها. بعد محاولات سرية كثيرة، تقوم بها كول باهار، وستعاد الحصان، غير ان الباشا يتذرع بانه ليس حصانه. تقترب المهلة المحددة للإعدام من النهاية، وقبيل نهاية اليوم الأخير تتوسل العاشقة إلى رئيس السجانين كي يطلق سراح أحمد ومن معه. يوافق هذا . وهو يعلم بان هذا العمل يقوده إلى حتفه . شريطة أن تهديه خصلة من شعرها. توافق كول باهار. وعندما قُتل ميمو، بعد ان أطلق السجناء، وُجد وقد امسك بيده اليسرى المشدودة إلى قلبه بتلك الخصلة المقدسة. كان، بدوره، عاشقا. هذه الحادثة لا تمر بسلام، فرغم موافقة الباشا، بعد إلحاح الأهالي، وضغط الحشود الهائلة، وشيوع قصة الحب التي راح يتغنى بها الشعراء والمغنيين والرعاة، على زواج ابنته كول باهار من أحمد بيد أن هذا الحب اليانع بدأ يذبل.

فالعاشق الذي نفذ شرط الباشا المستحيل وهو الذهاب إلى قمة آغري، وإشعال النار هناك إيذانا بالوصول، وبدء الاحتفال، عرف ان ميمو لم يطلق سراحه، وهو يعلم انه سيموت، لو لم تعطه فتاته شيئا، كان ذلك خصلة الشعر التي أخمدت نار الحب في قلب احمد. وفق الاعتقاد السائد لدى الأهالي ثمة في قمة جبل آغري بيدر من نار، وبئر يصل إلى قلب العالم السفلي" . لم يصل أحد إلى قمته وعاد سالما. "لم يغفر آغري في أي وقت من الأوقات لمن صعد إلى قمته، لمن نظر إليه من هناك، لمن سرق ناره" باستثناء احمد الذي وصل القمة وعاد سالما ومنتصرا.

هذا الانتصار حزين بسبب إهداء الحبيبة لرئيس السجانين خصلة من شعرها. تنتهي قصة الحب على ضفاف بحيرة كوب في اسفل جبل آغري إذ غاب احمد في زرقة البحيرة وبقيت كول باهار تنتظر عودة "أوليس" من البحار عبثا. والى الآن "عندما ينتفض الكون من سباته، ويزهر فصل الربيع كل عام، يأتي رعاة جبل آغري من كل الجهات. يخلعون عباءاتهم ويلقون بها فوق التراب النحاسي للبحيرة ويجلسون فوقه، فوق تراب المحبة الذي عمره ألف عام" ، ومن خلال شدو ناياتهم الحزينة يستعيدون قصة حب وغضب جبل آغري.

"أسطورة جبل آغري" ككل الملاحم العالمية تنطوي على صراع بين الخير والشر. بين المحبة والكره. محمود باشا وأنصاره القلائل في جهة، وأحمد وأنصاره الكثر في الجهة الأخرى. ينتصر الخير والحب في النهاية. لكن الروح النبيلة للعاشق تحول دون قبوله الفتاة. الحبيبة التي وهبت خصلة من شعرها لغيره. تلك هي التراجيديا، فبعد فصول من العذاب والتضحية والوفاء تنتهي قصة الحب بالألم!

يصوغ يشار كمال روايته بلغة سلسة وشفافة، وبغنائية مؤثرة، وهو يروي ملحمته بضمير الغائب، ويكاد يكون غائبا في السطور، فهو أشبه براو يقرأ قصة من كتاب مفتوح أمامه. وهو مخلص إلى حد بعيد لثقافة المكان ومستوى وعي الشخصيات . يبتعد عن كل ما يعيق سلاسة السرد، ويستعير الكثير من عناصر البيئة ومفرداتها . ولا يغفل عن تقديم وصف آسر ووجيز: "وفي الصباح يهبط الضباب الناعم فيضفي على التلال القابعة خلف السهول الممتدة لونا ازرق جميلا، فتبدو كتلال صغيرة ساكنة مفعمة بالرقة والجمال"، وعن كول باهار يكتب "عندما تضحك يتورد خداها وتتدفق عيناها الدافئتان بشوق عميق...كانت تضع في عنقها عقدا من الذهب، وتطوق ساقيها بالخلاخل الذهبية المزينة باللؤلؤ والزمرد.

قصص الحب الخالدة لا تكون كذلك لو لم تعترض سبيلها عقبات ومحن وأهوال بحيث تدفع العاشقين إلى التضحية، والحب، كما يقول المخرج الروسي اندريه تاركوفسكي، هو التضحية. ولئن اختلفت الأزمنة والأمكنة، ولئن تباينت العقبات وذرائع الرفض، فإن نيران الحب التي تشتعل بين جوارح العشاق تبقى متشابهة. وثمة رموز تصاحب هذه القصص وتمنحها الخلود. في "أسطورة جبل آغري" ثمة طائر ابيض صغير يأتي من البعيد يغمس جناحه بزرقة مياه البحيرة، ويمر فوقها ظل حصان شديد السواد" . رحل العاشقان لكن الطائر والحصان، كرمزين، يحرضان مخيلة الأكراد الجبليين إلى الآن، فيروون قصة الحب هذه من دون ملل.

عن / جريدة الرياض السعودية

صفيحة يشار كمال..الدفء والقسوة الباردة والفساد المسيطر

جورج جحا

في أجواء رواية الكاتب التركي الشهير يشار كمال التي ترجمت الى العربية وحملت عنوان "صفيحة" يرسم الكاتب بقدراته الكبيرة المميزة عالما ريفيا منسوجا بخيوط من الدفء الانساني والقسوة الباردة ويجري فيه الفساد كنمط حياة مسيطر. وفي عالمه الريفي سمات من تلك التي تتسم بها مجتمعات العالم الثالث واجواء تحكم المقتدرين الكبار والصغار في بعض بلدان امريكا اللاتينية وغيرها. وفي ذلك العالم الريفي الزراعي يجري استغلال طيبة الطيبين وافسادهم فاذا قاوموا الفساد تحولوا الى ضحايا وشوهت سمعتهم وظهر الفاسدون المفسدون في ثياب الشرف والاستقامة المزيفين.

الرواية التي ترجمها الى العربية عبد القادر عبد اللي وجاءت في ١١٨ صفحة متوسطة القطع صدرت عن دار "المدى" للنشر في دمشق. اسم يشار كمال الحقيقي هو كمال صادق غوجلي. وقد ولد سنة ١٩٢٢ وتقلب في مهن متعددة بلغت ٤٠ مهنة بعد ان ترك الدراسة في الصف الثالث الاعدادي. ومن تلك المهن عامل بناء وكاتب وناطور ماء في مزارع الارز في منطقة تشيكوروفا التي تجري احداث الرواية فيها كما عمل في اسطنبول في الصحافة كاتبا وشريكا في اصدار مجلة وغير ذلك. وجاء في التعريف به في المقدمة انه يعد "رائد ما سمي الادب الريفي وكتب الاساطير الاناضولية، استخدم لغة تتعدد فيها اللهجات" وقيل عن ادبه بحق كما يظهر في هذه الرواية وغيرها بأنه يمتاز بلغة شعرية عالية المستوى وخاصة في وصفه للطبيعة."

تتحدث الرواية عن قرية تركية صغيرة تسيطر عليها بقسوة واستغلال واستبداد مجموعة من مزارعي الارز الذين افسدوا القرية لخدمة مصالحهم مدعين ان زراعة الارز هي واجب قومي لمساعدة جيش الوطن. تبدأ الرواية بصراع مسرحه نفس رجل مسن ضعيف يسعى الى تحاشي المشكلات لانه سيتقاعد بعد اشهر، لكن الرجل اي رسول افندي شريف صاحب ضمير ومحافظ على القانون.

نقرأ السطور الاولى في الرواية "ليس ثمة قائممقام في البلدة منذ ثلاثة اشهر يقوم كاتب الديوان رسول افندي بالوكالة. لا فرق بين وجوده او غيابه.. انه رجل مسن ضئيل يخاف من ظله ولا يمكن القيام بأي عمل مع هذا الرجل. حل شهر نيسان وبدأت المراجعات للحصول على تراخيص زراعة الارز..." وفي ذلك جني ثروات طائلة بطرق غير شرعية عبر الاحتيال والتزوير وحتى القتل. ورسول افندي الطيب الشريف الذي لا يمكن ان يشتريه احد يبتعد عن ذلك كله.. لكنه في عمق اعماقه يتمنى القضاء على الشر، انه يبتعد عنه ولا يغني له بل يصلي من اجل زواله. يتعرض للتهديد والاهانات والاشاعات.

ويأتي الخلاص بالنسبة الى رسول افندي من خلال تعيين قائممقام جديد، انه شاب في مقتبل العمر تخرج من الجامعة وجرى تعيينه في المنصب عقب تخرجه من الجامعة. هو رجل مثقف مثالي طيب القلب وامثاله يعدهم الطواغيت الصغار الذين يعرفون باسم "الاشراف" صيدا سهلا يسيطرون عليهم من خلال اغداق العطايا والكلمات المعسولة عليهم. اتى الى المكان وفي ذهنه فكرة عنه رهيبة "ثمة خوف في داخله. ما اكثر ما حكوه عن بلدات الاناضول اسندت ظهورها الى تلال وسط السهول المترامية الاطراف. وهي بيوت طينية السقوف لا ماء فيها، تدفن بالثلج شتاء. في الصيف تعج بالغبار، معزولة بعد ذلك صراع مع الاغوات واللصوص وقطاع الطرق. حين تذكر انسان البلدات يتجلى امام عيونكم ذوو السراويل العريضة الوسط والشوارب المعقوفة حاملو المسدسات العدوانيون.. خاصة ما شرحوه له عن الاشراف."

القائممقام الشاب فكرت ارتعلي المثقف المتحرر الحالم الذي كان من دون وعي منه يصفر لحنا من احدى سيمفونيات بيتهوفن.. كانت له احلام لتطوير البلدة. قبل وصوله اعد له افضل بيت فخم رائع الفرش هو افضل بيت في البلدة ويملكه احد كبارها. وعند وصوله استقبل استقبال الملوك وانهالت عليه المدائح وانواع التملق والاغوات بارعون في ذلك. في استقباله "ركب في السيارات اغاوات زراعة الارز والموظفون مرتدين افضل ملابسهم وركب الحافلات شباب البلدة والمرددون والهتافون "عاش".. "تسلم" باستمرار، فوق الحافلتين ركب الطبالان اللذان يقرعان طبليهما من دون انقطاع."

قد نتذكر هنا قول جبرا ويل عن الامة التي تستقبل الحاكم القادم بالتطبيل والتزمير وتشيّع الراحل بالصفير والتزمير. تسابق الاشراف الى فتح باب سيارة الشرف له. فتح احدهم الباب قائلا "تفضلوا يا سيدي يا سيدنا القائممقام. يا حبيبنا قائممقامنا."

ولكثرة الاكرام والتملق دهش الشاب وقال لمن معه في السيارة "لا تؤاخذوني، انا منفعل جدا جدا جدا.. انا مندهش. ارتبط لساني. عرّفوا لنا الاناضول بأنها جهنم. مع ان هؤلاء الناس الان كل منهم كأخي او ابي... لا اصدق لا اصدق. الانسان يقدم روحه لهؤلاء الناس ولا يقدم لهم خدمات فقط، حتى الروح."

استغلوا طيبته طويلا وسرت الشائعات الى ان قرر رسول افندي ايضاح الامر له سرا وإثر تظاهرة للفلاحين الفقراء احتجاجا على اغراق حقولهم بالماء ثار الشاب وواجه الاشراف. ودارت معارك بين هؤلاء والفلاحين الى ان اشترى الاشراف املاك قرية الفلاحين باستثناء متمرد واحد.. فخمدت ثورة هؤلاء وتخلوا عن دعم القائممقام. صدم الاشراف في بادىء الامر وما لبثوا ان خططوا لهجومهم المضاد. في النهاية وقع ما حذره منه رسول افندي، جاء قرار بنقل القائممقام الشاب بعد الوف الرسائل والبرقيات الكاذبة.

وضع رأسه بين يديه وسأل رسول افندي قائلا بألم "كيف؟ كيف يحدث هذا يا سيد رسول؟ كيف يمكن لهؤلاء اللصوص ان يفعلوا هذا؟" يقول الكاتب "انمحى كل شيء من حوله. بقي وحيدا تماما في عالم واسع جدا. سقط في ظلام مخيف." ثم سأل رسول افندي الذي سيكون وكيلا للقائممقام "لا فائدة من الاشتغال بهم والكفاح ضدهم، اليس كذلك؟" رد صديقه الطيب الضعيف "لا فائدة يا سيدي."

ودعه الناس تقليديا كما يودعون غيره بقرع الصفائح. ترك وراءه قلبا احبه هو قلب رسول افندي العاجز، لكن بينما كانت السيارة في الطريق الى خارج البلدة قفز امامها رجل ولما توقفت بسرعة انكب هذ الرجل على يده مودعا. انه المتمرد الوحيد الذي رفض بيع ارضه كسائر القرويين الذين كانوا يحثونه على المقاومة ويعيبون عليه كما قالت امرأة ذات منزلة فيهم انه تحول الى خصيّ. كان الرجل قد طورد سنوات في السابق والتجأ الى الجبال بسلاحه لكنه لم يعد يرغب في المغامرة ومع ذلك فقد ثار ووجد نفسه وحيدا مثل القائممقام.

قال الرجل محمد علي الكردي وهو يقف في وسط الطريق "مع السلامة. على عيني وعلى راسي يا قائمقامي." في البداية انعقد لسان الشاب الذي لم يجد من يتعاطف معه سوى رجل طيب جبان وثائر ظن انه يستطيع التقاعد والهرب. لكن "بعد زمن فكت العقدة في بلعوم القائممقام. ابتسم لنفسه وقال.. محمد علي، محمد علي، محمد علي." القائممقام الشاب "كان يبتسم، بعد ذلك بدأ بالصفير، كانت هذه المعزوفة التي يعزفها دائما ونسيها.. من السيمفونية التاسعة."

رويترز

الروائي الأفضل في تركيا يشار كمال:

الانسان يخلق الخرافات لنفسه

ترجمة: ابتسام عبد الله

يشار كمال يبلغ هذا العام الـ٨٥ عاماً من عمره. وقد اعتقد غالبية الاتراك انه سيكون الكاتب التركي الاول الفائز بجائزة نوبل للآداب. ومع انه لم يفز بها، فان صوته مايزال قوياً، جدولاً متواصلاً من الحكايات، حكاية داخل اخرى، وذكريات ونوادر ومقاطع من شعر شعبي. ويشار كمال ابن احد ملاكي الارض الاكراد، الذي هرب الى شرق الاناضول عام ١٩١٥، معلموه الاوائل كانوا شعراء شعبيين، تستغرق ملاحمهم اياماً حتى ينتهوا منها. وعندما اصبح في الـ١٤ من العمر، دعاه احدهم ليكون من مرافقيه ويتعلم منه المهنة. قال لي بأني سأكون كارا كوغلان الجديد هذا مايقوله كمال في اشارة الى شاعر جوال شهير في القرن السابع عشر لكنه بدلاً من ذلك عاد الى قريته ودخل المدرسة واكتشف بعدئذ سيرفانتس وجيكوف

وايضاً الكاتب الذي عد الافضل بالنسبة اليه في الاعوام الاولى لكتابته الرواية وهو ستيندال :جئت من القرية. كنت اعرف كل شيء، ثم اكتشفت عالماً جديداً. ويصف كمال انغماره في الادب الغربي بافضل فرصة حظ سنحت له. ومع ذلك فان خياله بقي مخلصاً لتاريخ اسرته والى قريته جكر أوفا طفولته كان بطل القرية انموذجاً اناضولياً لروبن هود افضل اعماله نجاحاً وتوزيعاً حمد وصقري التي يبدو تأثره فيها واضحاً بالقصص التي سمعها عن قطاع طرق بحثوا عن الامان في قريته سلمان المتوحد تعتمد على وفاة والد يشار كمال على يد الطفل اليتيم الذي كان تبناه عام ١٩١٥. جريمة شهدها الروائي التركي وهو في الخامسة من عمره. اما كتابه سادة الحجاساز فهي تلتقط موضوعات من شعر دادا وغلو الذي اشتهر في اوائل القرن التاسع عشر كشاعر جوال وقد دفن فيما بعد بالقرب من قرية كمال.

وقد أثار يشار كمال ضجة في تركيا في الشهر الماضي بتصريحه لصحيفة المانية بفقده الامل في انضمام تركيا الى منظمة الوحدة الاوروبية وقال في حينه ان المنظمة لا تختلف عن غيرها من القوى الكبرى. وعلى الرغم مما قال فانه كروائي مدافع دائم عن الهوية الشخصية المحلية، نزاع الى الشك في اولئك الذين يميلون الى انضمام تركيا الى الغرب ان مثقفينا يتهالكون لتقليد الغرب، ولكنهم لا يعرفون شيئاً عن الاناضول، تأمل ناظم حكمت افضل الشعراء الاتراك مع ان الشعب الاناضول اتاح له كتابة افضل قصائده.

وتستعيد كلماته مبادىء تولستوي التي كانت منتشرة بين اليساريين عندما بدأ كمال في الكتابة إبان الخمسينيات. اصبح اشتراكياً متعصباً منذ التقط كتاباً عنوانه ما هي الشيوعية؟ ويقول انه كان في السابعة عشرة من عمره ولم يفهم منه كلمه وقد عانى يشار كمال بسبب ميوله السياسية. اذ سجن في مراهقته كما تم مصادرة مجموعة قصصية ورواية قصيرة له من قبل الشرطة لدى اعتقاله عندما كان يحاول توحيد مواقف سواق (التراكتورات) في اواخر الاربعينيات.

لقد توسلت الى رجال الشرطة للبحث عن المخطوطتين، وقيل لي بعدئذ ان الاوراق استخدمت لاشعال النار في المواقد اما اليسار الذي كان فيه بارزاً فقد تدهور خلال السبعينيات ولكن متاعبه تواصلت.

وفي عام ١٩٩٦ وبسبب انتقاده للمحاولات التركية الشديدة للقمع في المناطق الكردية جنوب شرق تركيا، حكم عليه بالسجن ٢٠ شهراً (مع تعليق الحكم). وفي شهر كانون الثاني الماضي ارتفع عدد القتلى بسبب القتال المتواصل الى اكثر من ٤٠,٠٠٠ هوجم كمال بشدة من الصحافة التركية، ملمحة ان الكلام المنمق المرخص به رسمياً لايساعد على انهاء الحرب وكان كمال قد صرح في مؤتمر صحفي بأنقرة لقد اصبحنا بلداً يحارب ابناءه.

ومع ذلك يعترف الكاتب ان الضغط السياسي لم يؤثر ابداً في عمله التغاضي بالنسبة للكاتب اسوأ من الانتحار

في عام ١٩٩٦ وبسبب انتقاده للمحاولات التركية الشديدة للقمع في المناطق الكردية جنوب شرق تركيا، حكم عليه بالسجن ٢٠ شهراً (مع تعليق الحكم). وفي شهر كانون الثاني الماضي ارتفع عدد القتلى بسبب القتال المتواصل الى اكثر من ٤٠,٠٠٠ هوجم كمال بشدة من الصحافة التركية، ملمحة ان الكلام المنمق المرخص به رسمياً لايساعد على انهاء الحرب وكان كمال قد صرح في مؤتمر صحفي بأنقرة لقد اصبحنا بلداً يحارب ابناءه.

وهو يحاول جهداً عدم نعته بروائي يساري . لقد اعجبت تماماً بأميل زولا ولكنني لم احب رواياته للواقعيين الاشتراكيين قضية عادلة ولكن السياسة تهدد الفن انا لا اكتب عن قضايا، انا لا اكتب للجمهور ولا اكتب حتى لنفسي انا اكتب فقط.

وعندما يسأل عن اولى اهتماماته يقول، نحن اغبياء، نفكر في القصص كأنما لا يوجد غد نعم هناك تمرد في رواياتي، ولكنه تمرد ضد الانسجام مع المثل العليا. الانسان مادام ينتقل من عتمة الى اخرى، فانه يخلق الخرافات لنفسه، ان الاختلاف الوحيد بيني وبين الاخرين انني اكتب تلك الخرافات.

ولكن شخوص اعماله تواجه تحدياً وجودياً اخر – التغييرات الجذرية التي تعرضت لها قرية جكراوفا من خلال حياته، فقبل ثمانين عاماً كانت قرية (حمد الناصل) في وسط اهوار وغابات، اما الان فليس هناك غير الحقول.

البداوة اصبحت من الماضي، الهجرات الموسمية تضاءلت الى لاشيء تقريباً، والملاحم القديمة قد تم نقلها من ذاكرة عدد من الرجال المتقدمين في السن الى كتب في مكتبة أدنة العامة.

يميل ادب يشار كمال الى الشخصيات الفروسية والرومانتيكية، ولكن ربما لا يوجد منها واحدة رومانتيكية مثله، وهو الذي صنعها.

الروائي الاكثر شهرة والاحب الى الاتراك يتطلع الى جائزة نوبل المتوقعة منذ امد طويل بعضهم يقول: ان ادبه يحمل تأثير القرن التاسع عشر والآخر يقول ان شخصياته غدت قديمة الطراز. ولكن اليأس لايتطرق اليه. وهو الان يكتب رواية جديدة عن تبادل السكان بين تركيا واليونان عام ١٩٢٢. المرء يخاف ان يموت فجأة، تلك هي الحكاية وعلي ان اكتب.

عن الغارديان

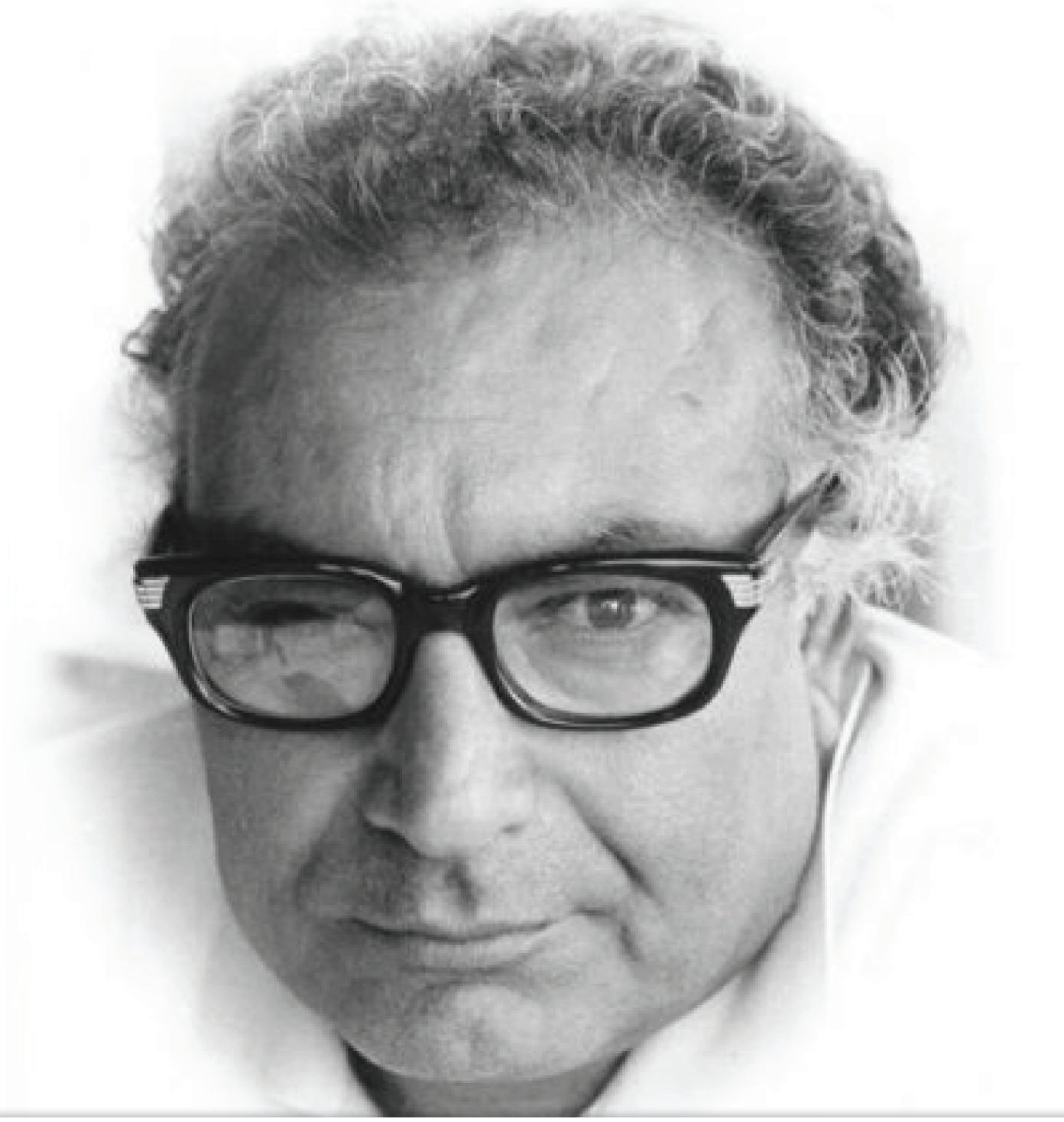

حقول الموت في الغابات العالمية

د. محمد علي الصويركي

لا يحتاج الروائي الكردي العالمي الشهير يشار كمال الى تعريف فهو يعد من المع الأدباء في تركيا اليوم إذ يقف مع كبار أدبائها أمثال عزيز نسين وناظم حكمت ومحمود مقال وفقير بايقورت. حصل على العديد من الجوائز في تركيا والخارج ، كان من أبرزها جائزة السلام في ألمانيا. كتب روايات فاقت العشرين وترجمت إلى اكثر من ثلاثين لغة. وقد ترشح في أوائل الثمانينيات من القرن الماضي لجائزة نوبل للآداب. وسر نجاحه أنه نسج عالمه الروائي من هموم وشجون وآمال وآلام الناس، ومن التوق اللامحدود للحرية، ليصبح برواياته واحدا من الرموز الثقافية العالمية الخضراء الواقفة في الخط الأمامي لمنع قمع الإنسان لأخيه الإنسان.

وقد ترجم القليل من رواياته إلى العربية ما جعله غير معروفا بشكل كبير للقارئ والمثقف العربي، على الرغم من شهرته العالمية الكبيرة.

ولد يشار كمال غوكجلي الذي يعد أكثر الكتاب المعاصرين شهرة في تركيا والخارج عام ١٩٢٣ في قرية "سيليئيس" في كردستان تركيا ، من عائلة كردية هناك .ثم انتقل به والده إلى قرية "حيميت" الواقعة في منطقة "كيليكيا" الخصبة التي تقع بين جبال طوروس وساحل البحر المتوسط، ومنهم من يقول بأنه ولد في هذه القرية ، فحين ولد يشار لم يكن عدد سكان القرية يتجاوز الستين عائلة، جميعهم من البدو التركمان الذين هاجروا إليها من آسيا الوسطى أو بلاد الرافدين سنة ١٨٦٥. وهكذا لم يولد يشار في بلاد كردية كما يشيع الظن، لان أباه وأمه فرا من الأناضول الشرقية بعد احتلال الجيش الروسي لبحيرة وان، واستغرق سنة ونصف السنة قبل ان يصلا إلى هذه القرية التي ولد فيها والتي عرفت باسم آخر فيما بعد و هو "شوكروفا"، كذلك لم يكن أحد في القرية ينطق بالكردية سوى أسرة يشار.

غير ان وعي يشار تفتح على الهم الكردي ،وعلى العصيان في آن معا، لانه عاش مع عم أبيه الذي شارك في ثورة الشيخ سعيد الذي قاد الثورة الكردية ضد مظالم اتاتورك عام ١٩٢٥، وكان عم أمه قاطع الطريق الأشهر في الأناضول الشرقية وإيران والقوقاز على حد سواء، وكان ينتمي إلى فئة قطاع الطرق "الشرفاء" الذين يسلبون الأغنياء ويوزعوها على الفقراء، مثلما كان "الصعاليك" العرب يفعلون في العصر الجاهلي ، ويروي يشار ان عم أمه اعتقل مع نفر من أنصاره في سجن "وان" ، واستطاع الهروب من السجن بعد ان حفر نفقا تحت جدرانه، لكن أحد الحراس تنبه له وأطلق عليه النار، لكن العم تمكن ، برغم جرحه، من تجريد الحارس من سلاحه وقاوم الشرطة حتى قتل ، وتقول الحكاية ان الشرطة شقت صدره، فعثرت على أربعة قلوب بدل القلب الواحد!

ويشار كمال ولد لأب في الخمسين من عمره، ولام في السابعة عشرة. وحين كان في السابعة من عمره قتل أبوه مطعونا بخنجر فتى يدعى "يوسف"، كان والد يشار قد أنقذه عند الفرار من بحيرة وان، وتبناه كابن له، وكان يشار قرب أبيه في المسجد حين قتل وهو يصلي، فأدت الصدمة إلى إصابة يشار بمرض التأتأة الذي بقي يلازمه حتى سن الحادية عشرة، والمدهش انه لم يكن يتأتئ أثناء الغناء أو القراءة الجهرية، وانه شفي من هذا المرض فجأة لأسباب لا يستطيع تحديدها.

وقبل سنة من اغتيال والده كان الصبي يشار يراقب زوج عمته وهو يسلخ ذبيحة عيد الأضحى، حين طار السكين من يد الرجل وانغرز في عين يشار اليمنى،فأصيب بالعور. وبرغم ثقل هذه الأحداث، وحزنه الشديد على والده ورفضه تصديق موته، فقد عاش طفولة حافلة صاخبة، كان يسرق البطيخ من القرى المجاورة، ويطارد العصافير في أعشاشها، ويسير حافيا، ويقود عصابة من الصبيان تسرح وتمرح وتعبث هنا وهناك، ولان أسرته كانت من العائلات الأفقر في القرية، فقد عملت في فلاحة أرض إسماعيل آغا (والد ميميد، وزميل يشار في العصابة، الذي سيتحول إلى شخصية روائية أساسية في روايته"سلمان الأعزل" أيضا").

كذلك تأسست طفولته على رحلات "الاصطياف السنوية التي كانت القرية تقوم بها إلى ذرى جبال طوروس، حيث أتيح له أن يعايش طبيعة جغرافية ونباتية وحيوانية بالغة الثراء والتعدد، انطبعت عميقا في مخيلته، وسوف يستدعيها ويوظفها في جميع أعماله بلا استثناء.

وذات يوم، وكان يشارفي سن الثامنة، وصل إلى القرية أحد الباعة المتجولين الذي كان يبيع مختلف البضائع بالمقايضة أو الدين، ولاحظ يشار انه يفعل شيئا بدا غريبا في نظره، فكان يدوّن بعض الملاحظات لكي لا ينساها، فهو يكتب"،وهنا تنبه يشار إلى أهمية تدوين ما لا ينبغي ان ينسي ذلك لان يشار كمال كان آنذاك يؤلف الأغاني ويقول الشعر، وكان يخشى ضياع الأغاني التي يبتدعها.

وفي الواقع كان من بين أبرز أمجاد أسرته على نطاق القرية، وربما مجدها الوحيد، أنها استقبلت ذات يوم الشاعر الشعبي الكردي الكبير عبدلي زنكي، الذي تحول في وجدان يشار إلى قديس كبير يحرضه على الشعر والغناء.. ولقد حقق يشار نجاحا ملموسا، فبات اسمه في القرية يقترن بالشعر "عاشق

كمال" (لان الشاعر كان عاشقا بالضرورة في الخيال الجمعي الرعوي) أو " كمال الشاعر" ببساطة.

وهكذا، وأسوة بصديقه" ميميد"، صمم يشار على الالتحاق بمدرسة القرية التي تبعد مسيرة ساعة عن قرية حيميت. وفي تلك الفترة لم يكن أحد في القرية بأسرها يجيد القراءة والكتابة بمن فيهم إمام المسجد"فتاح خوجه". وكانت المشكلة الأولى التي واجهها معلم المدرسة ، هي إقناع يشار بضرورة انتعال حذاء، وشراء قلم ودفتر، وعندما حاز على الورق والقلم لم يشعر في حياته بمثل ذلك "التدفق الشعري" في داخله، فأخذ (يخربش) على الورق كيفما اتفق .

وفي أضنه تعرف على أسرة"دينو" عارف الذي يقاربه في السن، وشقيقه عابدين الرسام المعروف، وقد قاده عارف إلى الأدب ، فأهداه رواية"دون كيخوته" التي يعد يشار أنها الكتاب الذي مارس التأثير الأكبر والأبكر على جميع قراءاته اللاحقة،وعرفه على شعر ارتور رامبو. أما عابدين دينو فقد عرفه على الأفكار الاشتراكية ، وقدم له البيان الشيوعي في نسخة مخصصة للتداول السري ، وأما ما تبقى من أفكار اشتراكية تتلمذ عليها فقد وصلته بطريقة المشافهة أو عن طريق الدروس الثقافية في اجتماعات الحلقات السرية.

ومنذ سن السابعة عشرة قرأ يشار ترجمات لروائيين عالميين من أمثال زولا، موليير، هيجو، تولستوي، تشيخوف، غوركي ، غوغول، شكسبير، وغيرهم.

وفي عام١٩٤٦ بدأ في كتابة القصص والروايات ، فواجهته معضلة فورية كبرى:بأية لغة سوف يكتب؟ ذلك لان أول ما كتبه، وكان مجموعة قصصية بعنوان"الحمى الصفراء" ظهرت بلغة غلبت عليها اللهجة التركمانية، التي كانت وما تزال لهجة الأقلية، وكان يبحث عن حالة وسطية بين اللغة التركية المكتوبة وبين الثراء الوافر الذي تتصف به اللغة الشعبية التي عرفها في منطقة شوكروفا.

وليس مفارقة أن قراءة يشار كمالا لأول عمل روائي حقيقي"رواية سيرفانتيس" ترافقت مع أول استدعاء إلى مركز الشرطة ، وفيما بعد سوف ينخرط في "حزب العمال التركي" ولسوف يعتقل في عام ١٩٥٠بتهمة الشيوعية، سيصبح عضو المكتب التنفيذي التابع للجنة المركزية للحزب، مسؤولا عن الإعلام. وقبل عام ١٩٥٠ مارس مهنا شتى فاشتغل عاملا يوميا، وبوابا ومدرسا، وبعد إطلاق سراحه عام ١٩٥١انتقل إلى اسطنبول وباشر نشاطه الأدبي صحافيا وكاتب تحقيقات في صحيفة"جمهوريت" وروائيا".

نظرا لكتابات يشار كمال النقدية ذات التطلع التغيري الرافض للأوضاع الاجتماعية والسياسية المتردية، تم اعتقاله عام ١٩٧١ اثر الانقلاب العسكري، بعد ذلك تكررت حملات التضييق والملاحقة القضائية عليه، لذا نجده يهجر العمل السياسي المنظم ويتفرغ للكتابة الإبداعية التي تعد بحد ذاتها عملا سياسيا- بالمعنى الواسع للكلمة- ومؤثرا فاعلا ، لكن بلغة تنفس التمرد الهادي لدى القارئ وتنمي روح التآلف والتواصل والتفاهم.

وفي عام ١٩٩٥ دبج مقالا سياسيا كان له صدى واسعا في الوسط الثقافي والإعلامي الألماني والكردي والتركي، حيث نشر مقالته"حقول الموت" في مجلة"المرآة" أوسع المجلات الألمانية انتشارا وأكثرها رصانة ، حيث انحاز فيه إلى هموم شعبه الكردي في تركيا وما يتعرض له من اضطهاد وتنكيل ومصادرة لحقوقه ومحو لثقافته وطمس للغته منذ سبعين سنة، وتعرضه للفظائع التي ارتكبتها السلطات والجيش التركي بحق اكرادها، فقد تم حرق اكثر من ألفي قرية ،وتهجير ثلاثة ملايين شخص، ووقوع ١٨٠٠ جريمة قتل" مجهول الفاعل" ضد خيرة الكتّاب والأدباء والمحامين والصحفيين الأكراد، وترك الناس جياعا ومشردين ،ومحو غابات عن بكرة أبيها، ودخول مئات الناس في عداد المفقودين.

وخلص الى القول بأنه لا أمل لتركيا بمستقبل ديمقراطي ما لم تحل المسألة الكردية بطريقة سلمية، وعار على البشرية جمعاء ان تتلفظ بحرف الدال- لا بكلمة ديمقراطية – طالما ان بلدا" يحجب عن ١٥ مليونا من سكانه حقوقهم الأساسية . وأسفر مقاله السابق عن اتهامه من السلطات التركية بالنزعة الانفصالية والمس بالأمن القومي التركي، ولكن تضامن معه ألف من نخبة الكتاب والإعلاميين في الوسط الثقافي التركي.

وتقديرا لأدبه فقد نال جائزة فارليك (التركية) عام١٩٥٦ على روايته"ميميد الناحل"، وجائزة اسكندر(التركية أيضا) ، لأفضل مسرحية عام ١٩٦٥-١٩٦٦ على مسرحية "الصفيحة". والجائزة الأولى في مهرجان المسرح العالمي عام١٩٦٦ على مسرحيته"الأرض حديد، السماء نحاس". وجائزة (مدرالي) لأفضل رواية عام ١٩٧٣ على روايته"جريمة سوق الحدادين". وجائزة افضل كتاب أجنبي في فرنسا عام١٩٧٨ على روايته"الجانب الآخر من الجبل".

وله أكثرمن ٣٦ عملا، بين مجموعات قصص وروايات ومسرحيات ومجموعات شعرية. ومن بين رواياته الثلاثين :الصفيحة ١٩٥٥، ميميد الناحل(ثلاثية)١٩٦١، الجانب الآخر من الجبل ١٩٦٢، الأرض حديد،السماء نحاس ١٩٦٣، جميع الحكايات ١٩٦٧، أسطورة جبل آغري١٩٧٠ (مترجم إلى العربية)، أسطورة الألف ثور ١٩٧١، جريمة سوق الحدادين ١٩٧٣، لو قتلنا الثعبان ١٩٧٦، العصافير رحلت ١٩٧٨، أحاديث مع آلان بوسكيه ١٩٩٢.

نظرة إلى أدبه:

يعد يشار كمال روائيا عالميا، فقد أبدع هذا الكاتب الذي نسج عالمه الروائي من هموم وشجون وآمال وآلام الناس، ومن التوق اللامحدود للحرية، ليصبح برواياته واحدا من رموز الثقافة العالمية الخضراء التجليات الواقفة في الخط الأمامي لمنع قمع الإنسان لأخيه الإنسان.

وكونه يكتب بالتركية وليس بلغته الكردية لم ينتقص من قيمة أدبه ولم يشكل حاجزا نفسيا بينه وبين هموم شعبه إلى حد انه ترشح أوائل الثمانينيات لجائزة نوبل للآداب.

وقد سُئل ذات مرة هل تستطيع رواياتك عكس هموم مواطن في قرية أفريقية؟ فأجاب"كل من يطالع كتاباتي يجد نفسه منعكسا فيها، فان كنت أنا أديبا جيدا يستطيع الناس في أنحاء العالم التواصل معي والاندماج مع أعمالي ومع عالمي الداخلي، فنحن حين نقرأ لكتاب مثل سوفوكليس وأوربيديس وشكسبير لا نشعر أبدا أننا غرباء عن عالمهم". ولاشك في صحة تقدير الكاتب لان هموم الإنسانية واحدة أينما تواجد القهر والقمع، ولا تختلف سواء آليات تشريحها وطريقة اقتراح الحلول لها.

وليس صعود أدبه سوى العلامة الفارقة والانعطاف الكبير الذي شهده الأدب التركي في مطلع الخمسينيات من القرن الماضي، الانتقال من رواية المدينة وشخصية الوجيه والأرستقراطي، إلى رواية القرية وشخصية الفلاح والآغا الإقطاعي، وفي رواية القرية لا تبدو شخصية الفلاح ومثلها شخصية والآغا في الواقع، معنية أكثر بحكمة الحياة الدنيا أو ورع الحياة الآخرة، أو حتى الوعي الطبقي أو حدود الموقع الاجتماعي، أنها في المقابل جزء صانع لأسلوب عيش يومي طاحن، وجزء تكويني في دائرة طبيعية بيئية قاسية وحانية في آن معاً"، وجزء متحرك أبدا في علاقات شاقة لوجود يومي لا يقل شقاءً ومشقة، وثمة دائما وفرة من البؤس والضنك، العنف والدم، الفرح والرضى، التعاسة والاحتجاج، الشعر والغناء والملحمة.

روايته"ميميد يا صقري" خلقت شخصية البطل الرعوي لحقبة ما بعد كمال اتاتورك: قاطع الطريق النبيل الذي يشبه شخصية روبن هود. وقدم فيها ما هو أبعد بكثير من مجرد التقاط شخصية البطل الرعوي النبيل، فحشد الكثير من الحكايات والخرافات والأساطير ذات المغزى الدلالية والأخلاقي والسياسي، وصور الطبيعة البرية بسهولها وجبالها وفصولها وحيواناتها وطيورها، واقترح كما في عاداته الدائمة – نمط عيش طافحا بهواجس الكائن البشري الذي يصارع مثل صراع الكائن الضاري، فينتصر أو ينهزم، يقتل أو يُقتل، ينتمي أو يعتزل.

وفي "أسطورة الثيران الألف" يبدل يشار كمال النسيج الاجتماعي الذي يعتمد عليه عادة، بل ويجري نقلة ملموسة في "أدب القرية" ، حين يصور معضلات قبيلة تركمانية من الرعاة الرحل تعود في أصولها إلى الحثيين،وتجد نفسها مجبرة على الاستقرار في بقعة محددة وتغيير طرائق عيشها التقليدية العريقة. وفي هذه الرواية يبلغ يشار أعلى مستوى من اللغة الشعرية التي جربها على الدوام ، حتى ان المقاطع تبدو أشبه بقصائد نثر مشحونة بالمجاز التصويري والإيقاعات التكرارية والبلاغة اللفظية. وبين اعمق أقسام الرواية ذلك المشهد الذي يقود حداد القرية الشيخ في متاهة طرق أنقرة، حاملا السيف الذي اشتغل عليه طوال ثلاثين عاما، أملا ان يعجب الرئيس فيأمر بمنح قبيلة" قره شولي"بعض الأرض، وحين يرفض السيف في الأساس، فيعود إلى القرية ممتلئا بأمل جديد وبيقين أكثر تجددا حول ماضي القبيلة وحاضرها ومستقبلها.

وتعد روايته"سليمان الأعزل"، بين أفضل أعماله لأنها تقدم خلاصة مدهشة عن مجمل موضوعات رواية القرية ورواية المدينة على حد سواء، ومجمل الشخصيات النمطية التي حفلت بها رواياته، ومجمل الأساليب الفنية التي اعتمدها على مدار أكثر من ثلاثين عملا روائيا. وفي هذه الرواية بالذات يتضح ولع يشار كمال بلعب دور"بائع الحكايات" الذكي الذي يعرف الترويج لبضاعته و"الحكواتي" البارع الذي يحسن فنون التقديم والتأخير وشد الحبكة أو إرخاء خيوطها هنا وهناك، بغية القبض على اهتمام القارئ ما أمكن من جهة، وبغية بناء رسائل النص واحدة تلو أخرى، ومحبب من جهة ثانية، وليس هذا الولع غريبا على روائي أدرك منذ وقت مبكر، قيمة الأدب الشفاهي والملاحم الشعبية والقصائد المغناة، انه ليس سوى العالم الرعوي الحافل الذي التقطه يشار كمال، وأعاد خلقه على النحو الفذ الذي نشهده في العشرات من أعماله.

وفي "الصفيحة" التي نشرت في البداية على شكل رواية ثم أعاد الكاتب نشرها كمسرحية وترجمت إلى العديد من اللغات العالمية ، وتعد من أجمل نتاجات يشار كمال الأدبية، وقد عرضت على معظم مسارح تركيا وهي تصور ظلم الإقطاع التركي إضافة إلى صراع الطبقات وخاصة المزارعين العاملين في قرى الأناضول.

وهي تتناول حكاية تعيين حاكم محلي شاب في إحدى مدن"جوكوروفا" واستغلال الملاكين المحليين عدم خبرة الشاب من أجل توسيع الزراعة غير القانونية للرز وسقيه وتأييد الحاكم الشاب لنضال الفلاحين العادل بعد ان يدرك خطأه.

وأمام ظلم وطغيان ملاكي الأراضي الذين يحاربون من أجل زيادة أرباحهم وإغراق القرية بالمياه التي تساعد على نشر الملاريا والأمراض، وقيامهم بتهديد الحاكم إذا اعترض على ما يقومون به، وهنا تتصدى لهم ثلاث نساء قرويات يحركن مشاعر الفلاحين، ومن أبرزهن "زينو" التي لا تتوقف عن تحريضهم والصراخ فيهم " انتم أيها العبيد، أليس في هذه القرية رجال، هل تسمعوني، لقد حوّل الإقطاعي قريتكم إلى بحيرة وأنتم نائمون هنا وهناك كالكلاب، انتم حريم ولستم رجالا، أقول لكن انتن أيها النساء لن تسمحوا لأحد من هؤلاء ان ينام معكن بعد الآن، اللعنة عليكم يا من تحملون في صدوركم قلوب أرانب"؟!

ويبرز إلى جانبهن الفلاح المتمرد"محمد علي الكردي"الذي جال عشرات السنين بين الجبال وكان سلاحه في يده مطاردا طالبا الانتقام من المستغلين والظلم، ومصدر خوف للاغوات وملجأ للفقراء والمساكين بين صخور طوروس وقممها. وتتحرك نساء القرية لاستنهاض هممه التي تمثل في وعي الجميع صورة النضال الإنساني المشروع ضد قوى القهر والتسلط، وعندما تحركه " زينو" بعنف يعترف لها بأنه ميت وغير حي.وبرز السؤال الدرامي كيف السبيل إلى مواجهة الفساد والظلم الذي يزداد بضراوة كبيرة؟ وفي اعتراف مرير يرى القرية قد خلت من الرجال وليس فيها سوى رجل واحد هو الأخت" زينو".

الأحداث في الصفيحة تتداخل وتتزايد إيقاعها وتشعر ""زينو"" بأنها تواجه المصيبة التي بدأت تطرق أبواب القرية وتتخذ القرار الصعب بالمواجهة، وتصاعد أصوات القرية تقودهم " زينو" مع محمد علي الكردي الذي عاد إلى دوره السابق في المواجهة ، وكذلك يصحو مدير المنطقة على حجم الكارثة التي سببها توقيعه لطلبات الأغوات، كما يعمد الفلاحون إلى اقتحام مكتب المدير وهو يستمع إلى صوتهم القوي " لقد أغرقنا الاغوات بالماء العفن ومعنا المزروعات في كل عام ". ويكتشف المدير في النهاية أن الاغوات خدعوه ، ويحاول الإفلات من غضب الفلاحين المفجعين لكن """"زينو"""" تمسك بياقته وهي تصرخ غاضبة: قف لا تهرب هذا أنت وهذا الشعب لقد أعطوك مائة ألف من الليرات وأنت أعطيتهم دم الشعب... ويتخذ مدير المنطقة قراره الحازم بقطع الماء عن الأراضي، بينما الاغوات يطالبون إصدار أوامر لملاحقة العجوز "زينو" التي قادت الفلاحين وأثارت الشغب ودفعتهم لتحطيم السدود قائلين أيضا بان خسائرهم تقدر بالملايين وهم يعرضون الرشوة بشكل صريح، وعندما يرفض مدير المنطقة كل دعواتهم تنفجر المواجهة معهم، ويبادر إلى طردهم بشكل مهين ، ويبادر الاغوات إلى شراء ذمم الفلاحين بالمال وعندها تحصل المواجهة بين "زينو" ومحمد علي الكردي من جهة وبين الاغوات من جهة ثانية، ويشتبك الطرفان بالسلاح حيث يسقط محمد علي الكردي مضرجا بدمه وهو يصرخ: قتلوني يا أماه.. وتندفع "زينو" لتحتضنه ، وتأتي حملة تفتيش المنازل حيث المراهنة تقضي إذا بقي واحد في القرية من سكانها فان القانون يعد القرية مسكونة وغير متضررة من الماء كما يدعي مدير الناحية والفلاحين، ويكون مدير المنطقة مسؤولا عن الجرم الذي ارتكب بقطع الماء عن الأرز، ويكتب المسؤول تقريره بان القرية مأهولة بالسكان وأمام انكشاف اللعبة يعمد الاغا إلى تمزيق التقرير والطلب من السلطات في أنقرة العمل السريع على تغيير مدير المنطقة،كما يعلن كاتب العرائض السياسي: ان الانتصار حليف الاغوات لأنهم طردوا ثلاثة وأربعين مديرا في خمس وثلاثين سنة.

وفعلا ينجح الاغوات باستحصال موافقة أنقرة بطرد مدير المنطقة والطلب منه بحزم حقائبه والبحث عن سيارة تنقله إلى محطة القطار، وفي تلك الأثناء يتصاعد الدق على صفائح التنك فيقول الموظف (رسول) للمدير "انه الوداع يا سيدي ، هذه هي حفلة وداعك، هذه هي الطريقة التي يودعون بها المديرين الذين يطردهم الاغوات، انه في الحقيقة نوع من السباب.

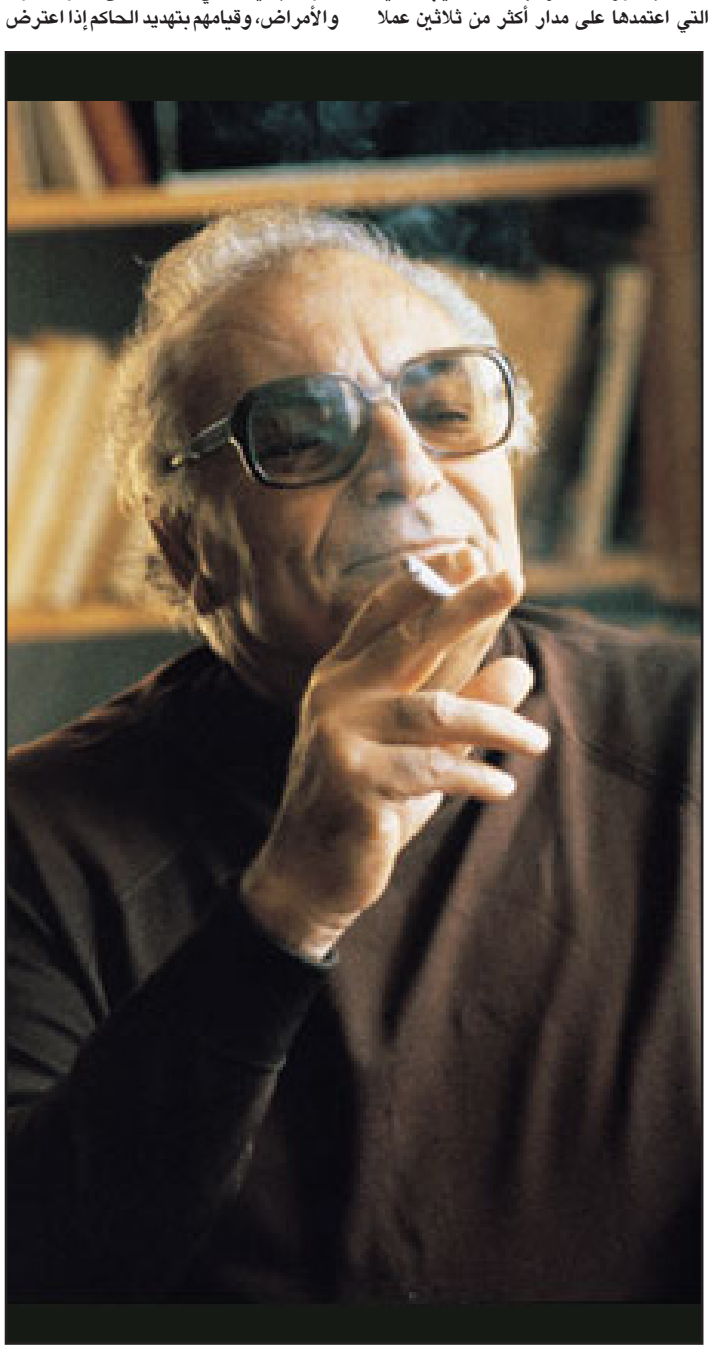

يشار كمال في: سلطان الفيلة

آزاد أحمد علي

يعد يشار كمال أحد أهم الروائيين في تركيا المعاصرة، فهو من مواليد منطقة وان الكردية على الحدود الإيرانية، ولد عام ١٩٢٣. رحل أهله إلى منطقة جكوروفا قرب البحر المتوسط عاش فيها طفولته وشبابه، وترعرع ضمن وسط قروي تركي كردي تركماني مختلط. كان يشار ابنا لأسرة فقيرة ومهاجرة فلم يتمكن من إتمام تعليمه، كما لم يحصل على شهادة عالية، إذ دخل المدرسة وهو كبير نسبيا وكان هاجسه أن يقرأ فقط. أتم التعليم الابتدائي واشتغل بعدها في التدريس. ففي أعوام ١٩٤١ .١٩٤٣ ساعد معلم مدرسة القرية وعلم الأطفال. ومن ثم تابع قراءة الصحف والمجلات بشغف، وكان دائما يحلم بأن يصبح كاتبا وتحقق حلمه فنشرت له في البدء مجموعة قصائد، في الصحف والمجلات بمدينة أضنه.

عمل لاحقا كاتبا للعرائض، إلى حين أن رُقي إلى العمل في صحيفة الجمهورية الصادرة بإستانبول، نشر فيها تحقيقات عدة، لمع اسمه ككاتب مع صدور روايته الأولى أنجه محمد «محمد يا صقري» التي نشرت في أعوام الخمسينيات ولاقت إعجاباً ووزعت بشكل واسع روايته هذه، كما ترجمت إلى العديد من اللغات منها العربية.

استمر في إصدار الروايات المميزة التي تدور أحداثها في الريف الكردي والتركي، واستلهم من البيئة التي نشأ فيها بمنطقة جكوروفا مجمل عناصر ومادة رواياته، صوّر معاناة العمال الزراعيين والتطور الذي تبع استخدام الجرار في الزراعة والتأثير السلبي الذي لحق بمجتمع الفلاحين والعمال الزراعيين. تجسدت تلك الأفكار بأجمل صيغة في روايته الرشيقة (شجرة الرمان) وهي رواية قصيرة ممتعة ترصد شقاء وجماليات حياة العمال الزراعيين في سهول جكوروفا وهم يكدحون ويرحلون من قرية إلى أخرى بحثا عن العمل ولقمة العيش، وعلى ما يبدو أن هذه الرواية لم تترجم إلى العربية.

أما روايته التي نحن بصدد استعراض خطوطها العامة فهي جديدة ومختلفة عن باقي رواياته التي كتبها يشار كمال. تأتي خصوصيتها من حيث أسلوب السرد وبناء الحدث، كما أن الدلالات والرموز موظفة سياسيا وفكريا في النص الروائي. تجري أحداثها في عالم الحيوان المفترض. يرتكز النص على دلالات اختيار عالم الحيوان أولا، ومن ثم تقسيم هذا العالم إلى سلاطين وحكام، أي حيوانات قوية وضخمة وكسولة ممثلا بـ "الفيل" ، وعالم آخر صغير ميكروسكوبي ممثلا بمملكة النمل، هذا الكائن الصغير النشيط العامل بجد طوال حياته.

تبدأ الرواية بهجوم الأفيال على بلاد النمل وتدمير مدنهم وقراهم وسحقهم تحت الأقدام واحتلال وإخضاع مملكتهم للسلطان . الفيل. ونظرا لإسلوبه الوعظي الإرشادي التبشيري في النص يبالغ يشار كمال في إبراز تناقضات هذين العالمين: عالم الفيل ومجتمعه وعالم النمل ومجتمعه، وبالتالي عالم الكائنات الصغيرة المسحوقة وعالم الحيوانات العملاقة التي تسيطر على الآخرين الأصغر حجما وقوة.

ومن خلال تنامي الأحداث والصراع بين النمل والفيل تتبلور أفكار جديدة ويبرز وعي النمل بواقعه وضرورة الخلاص من جور الفيلة وظلم سلطانهم، ورفض تجميع البذور والأطعمة المجففة واللوز لهم، وتخزينها ليلتهمها السلطان في المحصلة.

يدخل على خط تماس الأحداث طائر الهدد طائر "الملك داود" الذي ربما يشير بدلالة رمزية إلى دور اليهود أو (إسرائيل) في الأحداث والصراعات المعاصرة في تركيا، حيث يشغل الهدد منصب مستشار السلطان ومراسله الخاص إلى مملكة النمل.

وينسق ويخطط مع السلطان الذي ظهر في النص الروائي فيلا ضخما أبيض اللون هائل الحجم لا يريد لأحد المنافسة أو تقاسم السلطة في مملكته التي تحكم النمل وتسيطر عليهم وعلى مخزونهم.

يدفع طائر الهدد السلطان للعمل على تفتيت جموع النمل وإخضاعهم لسلطة الفيل المتوارثة، مما أدى إلى قيام مجاميع النمل الفقيرة باللجوء لتأسيس رابطة تحمي حقوقهم وتحفظ مصالحهم في كل الأصقاع والمناطق البعيدة /ص٢٥/

يساهم الهدد مع السلطان لنشر نظرية تشير إلى أن النمل أصله فيل ويحاولون إقناع النمل بذلك، فيقتنع جزء من النمل بهذه النظرية ...

هنا تبرز في النص إشكالية رمزية الانتماء ودلالات توظيف عوالم الحيوان، فبالإضافة لهذا الغرض، أي غرض الانتماء إلى هوية طبقية وقومية محددة..

يتم مقاربة فنية لعوالم تركيا وهوياتها القومية والاجتماعية المركبة، فثمة قراءة أخرى لهذه الرواية تشير إلى أنه من حيث التوظيف والدلالة الرمزية فإن مملكة النمل تعبر بصيغة ما عن بلاد الأكراد ومناطقهم ومجتمعهم النشيط الكادح المغبون، وان مجموعة الفيلة تمثل السلطان والحكم التركي وسلطتهم التاريخية، واحتلالهم التاريخي لكردستان.

في حين القراءة الأكثر تفصيلا والأوسع ترجح اعتبار جموع النمل هي التعبير عن الطبقات الشعبية التي تعمل وتنتج الخيرات، فهم بالتالي جماهير الكادحين حسب أدبيات أواسط القرن العشرين الاشتراكية.

تسير الأحداث ويتضرر عالم النمل ويشتد غضبهم، يقاومون جور الفيل وسلطانه،

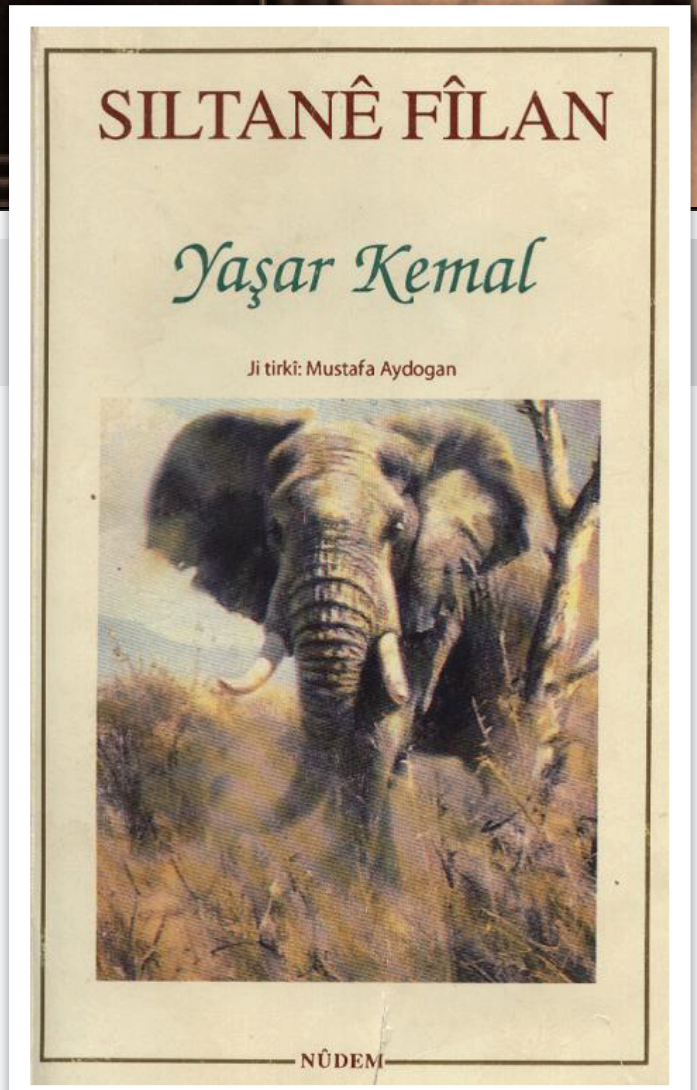

يلجأ كل من الهدد والفيل لزرع بذور الشقاق بين أطياف النمل فيعم الخلاف مملكة النمل وينقسمون إلى ألوان (الأحمر، الأصفر، الأبيض)، يختلفون، يتصارعون وتجري بينهم معارك طاحنة، تسيل دماء النمل بغزارة على الأرض، تتعزز سيطرة الفيل وتسلط السلطان على ما تبقى من مملكة النمل، لدرجة أن يخضعهم خضوعا تاما ويفرض عليهم شروطاً قاسية لجمع الثمار وتخزينها في المستودعات، وبناء قصر من الكريستال للسلطان، وكذلك تأمين كل مستلزمات الحياة الرغيدة له وصولا إلى طلب تأمين ماء الحياة والشباب والخلود للسلطان نفسه، وإلا ستكون عاقبة النمل وخيمة فتتضاعف معاناة النمل ودرجة شقائهم.

تجري كل هذه الأحداث بلغة روائية بسيطة وسرد سلس، تعيد مملكة النمل وحدتها لاحقا ويبرز الطموحات في تحررها من جور سلطان الفيلة من جديد، إلى أن يثور النمل فتنطلق ثورتهم من الجبال ضد سلطة الفيل، ولكن تفشل المحاولة ويلجأ السلطان من جديد إلى سحق النمل وترهيبه وخداعه لضمان السيطرة على هذه الكائنات المليونية النشيطة.

وبعد طول معاناة وتردد تصطف جموع النمل حول قائدهم "الحداد الأعرج" ويتفقون جميعا على حفر الأرض تحت أقدام وقصور وكل مواقع السلطان وأتباعه من الفيلة، ثم يرددون أغنية جميلة هي أغنية التحرر من بطش وجور السلطان، ويرفع جموع النمل راية حمراء، وهنا يستحضر الروائي الكبير يشار كمال أجواء الرومانسية الثورية في النصف الثاني من القرن العشرين، ويواكب انتشار فكرة الثورة الطبقية بكل رومانسيتها وعنفوانها، ويلفت النظر إلى ترابطها الجدلي مع قضايا تحرر الشعوب المضطهدة.

ينجح النمل في حفر الحفر الكبيرة تحت أقدام الفيلة، الذين يسقطون بغباء في حفريات عميقة وتزلزل الأرض تحت أقدامهم...

ربما كان هذا هو حلم يشار كمال بعالم لا يسوده السلاطين ضخمو الأجساد، عالم يعيش فيه النمل المنتج ضمن مملكة ووطنه بسلام.

بدت الرواية على الرغم من دلالاتها ورمزيتها وشفافيتها وصياغتها للعلاقات في علم الحيوان الموازي والمتداخل مع علم البشر وكأنها خطاب أيديولوجي مصاغ فنيا في منتصف القرن العشرين. طغت على النص النزعة الرومانسية الثورية، وكذلك عانت من بعض الاضطراب في توظيف الرموز والدلالات، مما سبب تباينا في مستويات قراءة وتحليل النص.

لكن نصه هذا أكد من جديد على نهاية حياد الكاتب، وعلى الأرجح سببت هذه الرواية بتصنيفه أيديولوجيا ووضعه على القائمة الحمراء، ولربما أضرت بمجمل نتاجه وباقي رواياته الجميلة. فمازال يشار كمال جالسا في الظل، يراقب ويكتب، وهو شبه منسي، إذ لم ينل حقه كأحد أهم كتّاب تركيا وآسيا وربما العالم المعاصرين.

سلطان الفيلة. رواية. يشار كمال
ترجمة: مصطفى ايدوغان
طبعة: نودم. باللغة الكردية. السويد ١٩٩٨
عدد الصفحات ٢٣٩. قطع متوسط

في روايته (أنظر إلى الفرات)

يشار كمال والأقليات المقهورة

اسكندر حبش

عن منشورات (غاليمار) في باريس صدرت مؤخراً الترجمة الفرنسية لرواية الكاتب الكردي التركي (يشار كمال) المعنونة(أنظر إلى الفرات/ الجزء الأول- قصة جزيرة). بشأن الرواية خصص الملحق الأدبي لصحيفة (ليبراسيون) ملفه الأسبوعي، إذ تناول الكتاب وأجرى حواراً مع الكاتب. هنا مادة معدة من عدد (ليبراسيون) بخصوص يشار كمال: عبر البحر الهادئ، عندما تنبثق الشمس في الفجر، هناك لحظة تسبح فيها المراكب الشراعية في نور حليبي لامع. (عليك أن تسلك دربك حين يصبح البحر أبيض)، هذا ما يحب أن يستعيد قوله (يشار كمال)، المنحدر من الأسياد الكرد القدامى ومن عصابات قطاع الطرق الشهيرة ومن الشعراء المتسكعين. لا يرغب (أو لا يريد) يشار كمال، راوي ثورات الشعوب في هضاب الأناضول، الذي تخطى الثمانين والذي يعد أهم كاتب كردي تركي حيّ، الغزير الإنتاج، إذ أصدر أكثر من أربعين كتاباً ترجمت إلى أكثر من (٢٦) لغة، والذي تمت ملاحقته من قبل (العدالة) التركية، في الأقل أكثر من عشرين مرة، بسبب التزامه ومواقفه السياسية والإنسانية، أن يعيش بعيداً عن البحر. كان شاباً في السابعة عشرة من عمره، حين اكتشف البحرَ المتوسط هذا اليتيم (قتل والده أمام عينيه) القادم من قريته الواقعة وراء جبال طوروس، فبقي يتأمله طوال نهار بأسره. منظر قلبَ كيانه كله، لدرجة أنه نسي أن يأكل ذلك اليوم. لفترة طويلة سكن (كمال) تخوم مدينة (اسطنبول)، في الجهة الأوروبية، في منزل كبير بالقرب من إحدى البحيرات، وسط غابة فيها (٣٠٠) شجرة، كان يعتني بها بدقة بالغة، إلا أنه غادر مكانه هذا ليعيش في مبنى صغير فوق مرتفعات (البوسفور)، في الجهة الآسيوية، متأملاً ذهاب وإياب المراكب الماخرة لهذا المضيق، من على طاولة مكتبه حيث لا يزال يكتب، مثل العادة، بقلم رصاص. يقول (يشار كمال): إنها رواية شاملة حول انهيار السلطنة العثمانية، كما حوّل مآسي الحداثة التركية الأصلية التي لا تزال حية في ذاكرتنا: الحروب، ترحيل الشعوب بالقوة وتغيير أمكنتها، المجازر، المذابح، وتدمير الطبيعة.

يشكل البحر، رمز الهجرات والغزوات، الشخصية الرئيسة في هذا العمل الروائي الذي يبدأ، بالضبط، بهذه اللحظة السحرية البيضاء العائدة للوقت الذي تبدأ فيه المراكب (بالسباحة)عند الفجر. إنها قصة جزيرة صغيرة، (جزيرة النمل) جزيرة غير موجودة في الواقع لكن يمكن لها أن تكون في أي مكان قبالة هذا الساحل الذي سكنه اليونان خلال قرون عدة. توجب على الجميع أن يغادروا (بلادهم) عام ١٩٢٣، خلال عملية تبادل السكان الكبيرة التي تمت يومها (مليون ونصف مليون يوناني من تركيا مقابل نصف مليون تركي من اليونان)، وهي العملية التي وسمت ما بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، ميلاد الدولة الأمة، للجمهورية التركية الحديثة و(العلمانية)، التي أسسها (مصطفى كمال) وفق النمط اليعقوبي. يروي مبدع شخصية (محمد الناحل) أشهر شخصياته الروائية وهي الشخصية التي كانت تتحدى سلطة (الأغاوات)، واصفاً التاريخ وانهيار عالم، عبر مواجهة بين رجلين (ولدا من رماد الحريق ذاته). هناك (فاسيلي اليوناني)، الذي يرتدي بدلة السلطنة العثمانية، الذي بقي مختبئاً وحده على الجزيرة بعد رحيل كل سكانها اليونان والذي أقسم على الكتاب المقدس، بأن يقتل أول شخص يطأها. هناك أيضا (موسى بويراز)، الشركسي المعتد بنفسه والبهي الطلعة، الضابط المرافق لـ(مصطفى كمال) خلال الحرب، وفيما بعد في نضاله لطرد الفرنسيين واليونانيين. كان (موسى) يريد الهرب من رعب ماضيه ومن انتقام العائلات التي قتل أبناءها.

ما يؤرق هذين الشخصين كانت الذكريات عينها: مذبحة الدردنيل (التي وصفت بفردان الشرق) وما رافقها (من أمطار أجساد مقطعة ممتزجة بالطين وبالحصى كانت تسقط من السماء عند كل قصف مدفعي)، كما كانا يهربان من ذكرى جبهة القوقاز حيث الغابة التي قتل فيها ألوف البشر إذ تجمدوا من الثلج وهم واقفون. كانا يستعيدان الصور عينها، الجنود الذين ضلوا الطريق لينهبوا ويقتلوا قبل أن يُقتلوا، نزوح اللاجئين وهم يموتون من جراء الجوع والأمراض، التصفيات التي ارتكبت بحق اليزيديين، الكرد الزرادشتيين الذين اتهمهم المسلمون بأنهم عباد الشيطان: (نساء ورجال، شبان وعجائز مروا على نصل السيف، أو رموا في دجلة والفرات كما نهود الشابات المقطعة التي كانت تدمي في الصحراء). مشاهد تستدعي أيضاً، وبشكل بديهي، المجازر التي ارتكبت بحق مئات الآلاف من الأرمن، حتى وان كان (يشار كمال) لا يذكر ذلك إلا بشكل عرضي، كما لو أنه يتردد هنا في مواجهة هذا (التابو) الكبير الذي تغلق عليه الذاكرة التركية. مع ذلك، فهذه الذاكرة هي التي تمسه بشكل مباشر، لأنه ينحدر هو نفسه من عائلة كردية تنتمي إلى منطقة (بحر فان)، أي تلك البحيرة الكبيرة الواقعة في الشمال الشرقي. فأمام تقدم الجحافل الروسية بمساعدة القوميين الأرمن، كان على أهل تلك القرية أن يغادروها التي كان يسكن فيها بسلام، حتى تلك اللحظة، كل من الكرد والأتراك والأرمن.

يقول يشار كمال: (يروى في عائلتي بأنه لم يكن هناك مسجد في المنطقة، لذلك كان المسلمون يذهبون ليصلوا في كنيسة الأرمن). يتذكر الكاتب الذي ولد في (المنفى) على الطرف التركي الآخر، في الجنوب الغربي، في سهل (كوكوروفا) عند أقدام جبال طوروس، حيث شاهد القرية التي ولدت فيها عائلته، للمرة الأولى، عام ١٩٥١. يومها شاهد أيضا في الساحة العامة، الحفرة الكبيرة التي خلفتها قذيفة روسية. (يومها فقط، قرر السكان أن يرحلوا. لغاية تلك الفترة، كانوا يرفضون ذلك، على الرغم من رعب قصص اللاجئين الذين كانوا يمرون ويقولون أن الروس سيقتلون الجميع ويغتصبون النساء). من هنا بقي أهله موسومين بهذا الترحيل والنزوح. لقد أرقت هذه المأساة طفولته، حيث شاهد أيضاً في قريته، العديد من المهاجرين الأتراك الذين جاءوا من اليونان. (كان لا يزال هناك العديد من الناس الذين لم يوضبوا حقائبهم، فعلى الرغم من مرور السنوات الطوال، كانوا لا يزالون على قناعة تامة، بأنهم بين يوم وآخر، سيعودون إلى المكان الذي عاشوا فيه دائماً، إلى المكان الذي يرغبون في أن يموتوا فيه: مسقط رأسهم)، ويضيف الروائي أنه ربما كان المنفى أصعب أيضا بالنسبة إلى اليونانيين. هؤلاء كانوا (في معظمهم من الأطباء، من المهندسين، من التجار الذين اعتادوا على حياة المدينة، فوصلوا إلى بلد صغير مدمر، لتسكنهم السلطات في سهول تجتاحها الملاريا).

هذا الموضوع، كان من المواضيع المحرمة لغاية سنوات طوال في الجمهورية الكمالية التي قررت أن تشيد جمهورية أمة، وفق النمط اليعقوبي، تستوعب كل الأقليات، بيد أن هذه القضية تحتل اليوم مقدمة النقاشات على الساحة التركية. بيع من الكتاب أكثر من (١٠٠) ألف نسخة،

حين صدر بالتركية عام ١٩٩٨، وهذا عدد يمثل الكثير هناك، كما أنه أسهم في تسريع عجلة النقاش. (قبل صدور الكتاب، لم يكن هناك أي شخص تقريباً، عند الجمهور الواسع، يتحدث عن هذه الصدمة التي سببتها عمليات الترحيل التي حدثت بالقوة، من هنا جاء الكتاب ليطلق النقاش. ثمة جمعيات عائدة لبعض المهاجرين وقفت على قدميها والبعض الآخر دعتني إلى حلقات حوار بشأن كتابي، رفضت ذلك قائلا لهم لماذا صمتم حتى الآن)؟ يقول (يشار كمال) أنه كان يحب معرفة هذا (الموزاييك) التي كانت عليه تركيا العثمانية. من هنا تأتي روايته لتشهد على هذا الانتفاخ. نجد فيها خانا شيشانيا، وشركساً من بينهم أميرة جميلة، وشجاعة يونانيين، أرمن، كردا، عرباً، يهوداً، ألبانيين وشعوباً بلقانية أخرى.

يصف (يشار كمال) نفسه كاتباً من أصل كردي يكتب بالتركية (لأنني لا أفكر بالكردية، حتى وان كانت لغتي الأم فأنا أمي بهذا المعنى). كان لغاية فترة طويلة مفتوناً، مثله مثل العديد من أقرانه في اليسار الجمهوري التركي، بصورة (مصطفى كمال)، إلا أن السنوات الخمس عشرة من (الحرب القذرة) (١٩٨٤-١٩٩٩) التي شنتها السلطات ضد الثائرين الكرد في حزب (PKK)، وسقوط (٣٧) ألف قتيل فيها، دفعته إلى تشديد التزامه وفي طلب الاعتراف بالحقوق السياسية والثقافية الكردية. ربما شهرته العالمية هي من يحميه اليوم، إلا أن المخاطر حقيقية. (أنا شخص رعديد، لكن، كما الكثير من الناس، لا أستطيع أن أمنع نفسي من الركض أمام خوفي)، هذا ما قاله منذ فترة. ففي بلد يشهد اليوم العديد من الإصلاحات ويحلم بالدخول إلى الاتحاد الأوروبي، يؤكد (يشار كمال) بصوت عال خياره بالاعتراف بذاكرة تركيا المتعددة. بعض أصدقائه القدامى في اليسار الكمالي لم يفهموا هذا (الانحراف نحو العثمانية الجديدة). أما على الطرف الآخر، فإن أصدقاءه الملتزمين بالقضية الكردية يأخذون عليه عدم التزامه الكافي.

لقد اتخذ يشار كمال مسافة من ذلك. انه قبل أي شيء كاتب يريد أن يشهد، وأول شيء، على محيطه. حين كان صحافياً شاباً يعمل في صحيفة (الجمهورية)، زار في الخمسينيات جميع المناطق التركية التي كانت لا تزال جبالاً مليئة بالنسور والثعالب، وان كانت متجهة نحو التحديث الصناعي. (كنت شاهداً على هذه المأساة وبخاصة تدمير الغابات بالنيران)، هذا الالتزام البيئي نجده حاضرا في روايته الأخيرة (جزيرة النمل كانت جنة، تحولت شيئاً فشيئاً إلى صحراء ومن ثم إلى جهنم). يقول الروائي وهو ينظر إلى البحر أمامه وهو يختنق بالمدينة الكبيرة التي أصبحت عليها (اسطنبول) التي تحوي اليوم (١٢) مليون نسمة: في الماضي كنا نصطاد في البوسفور ألذ سمك، اليوم يختفي السمك تدريجياً، حتى أنه لم يعد يؤكل.

بين يشار كمال وغونتر غراس

بدعوة من أكاديمية الفنون في برلين عقد مؤخرا لقاء أدبي وحوار جمع الكاتبين، التركي يشار كمال والألماني غونتر غراس، ودار في هذا اللقاء نقاش حول العلاقة بين الأدب والسياسة. لم يبن في العقود الأخيرة سوى القليل من الكتّاب مدى إثراء الأدب بوضوح مثل غونتر غراس ويشار كمال، ورواياتهما جعلت القرّاء في جميع أنحاء العالم يطّلعون على عوالم وأجواء وظروف كانت مجهولة تمامًا في السابق. ومن يتعمّق في قراءة كتبهما يسافر في رحلة تلغي الحدود الإقليمية وتلغي كذلك الحواجز غير المرئية القائمة بين الحواجز الاجتماعية.

تجارب مختلفة ثقافيًا

لا تجمع بين هذين الكاتبين الألماني والتركي فقط قدرتهما الروائية على السرد ولغتهما الواضحة. فهما وبسبب أصلهما خبيران بالبنى العرقية المختلطة وبتعايش الأجناس المختلفة وبالكراهية الأبدية بين مختلف الأقليات العرقية. لقد نقل هذا الشاعر الكردي التركي والكاتب الألماني تجاربهما المختلفة ثقافيًا إلى الأدب – كما أنهما أثّرا في المشهد الثقافي المعاصر في "نصف" وطنيهما. فمع وجود الكثير من الأمور المشتركة بينهما ليس هناك ما يدعو إلى العجب من أنّ غونتر غراس ويشار كمال صديقان. ولا يربطهما أخيرًا، مثلما قال غونتر غراس من دون تكلف أثناء لقائهما في برلين إنّنا نلقي بأنفسنا بصفتنا أدباء في قيعان السياسة". وغونتر غراس ألقى أيضًا كلمة الشكر عندما حصل يشار كمال في عام ١٩٩٧ على جائزة السلام من اتّحاد الناشرين الألمان.

القضية الكردية عند يشار

ولم تكن النشاطات الاجتماعية التي كان يقوم بها الكاتب الاشتراكي يشار كمال تمضي في الماضي من دون عواقب. فقد تم سجنه مرات عدة بسبب قناعاته وآرائه، وحكمت عليه أخيرًا في عام ١٩٩٥ محكمة تركية بمنعه من الكتابة بخصوص القضية الكردية لخمسة أعوام. وبعد ذلك بعامين قال يشار كمال لن أغفر لهذه الدولة أبدا"، وكان ذلك عندما علم أنّ القضاء وضع من جديد المثقف اليساري الضرير، إيسبر يغموردرلي Esber Yagmurdereli في السجن. ومنذ ذلك الحين مضت أعوام عديدة في البلاد، وتغيّرت تركيا بشكل كبير على المستويين السياسي والاجتماعي.

ومع ذلك لم يتفاجأ الجمهور التركي وحده بأنّ يشار كمال كان في نهاية العام الماضي أول من تم منحه جائزة رئيس الدولة الثقافية التي تم ابتكارها حديثا. واحتار الكثير من المراقبين أكثر من أنّ يشار كمال لم يرفض استلام هذه الجائزة من الرئيس عبد الله غول. وأعلن يشار كمال في وقت لاحق عن أنّه كان في البدء ينوي رفض استلام الجائزة، ولكنه قرّر بعدما فكّر – وأخيرًا وليس آخرًا بعد النصائح الجيّدة التي أقنعه بها مستشارو عبد الله غول – أن يمهّد الطريق للأمل.

ويقول يشار كمال: "ينبغي أن تكون هذه الجائزة إشارة تشير إلى انفتاح الطريق إلى السلام الاجتماعي".

ولم يتطرّق الحديث في برلين إلى منح الجائزة الثقافية التركية ليشار كمال. كما لم يذكر حصول يشار كمال على هذه الجائزة لا مدير الاجتماع، عثمان أوكان من منتدى ألمانيا وتركيا الثقافي ولا زميله الكاتب غونتر غراس. وبدلاً عن ذلك تحدّث الحضور حول الشكل الذي يجب أن يكون عليه السلام الاجتماعي في كلا البلدين.

وقال الكاتبان إنّ الوقت قد حان في كلّ من تركيا وألمانيا من أجل الابتعاد عن "التصوّرات الأحادية في المجتمع". وأوضحا أنّه لم يكن يوجد لا هنا ولا هناك في أي عصر تجانس لغوي أو ثقافي. واتّفق الكاتبان على أنّه من الأجدر أن لا يتم إنكار هذا التنوع، بل يجب النظر إليه باعتباره إثراء. وأشار غونتر غراس إلى مدى إثراء الأدب الألماني من خلال أعمال المهاجرين وأبنائهم. وأضاف غراس قائلاً لكن الأدب والمجتمع يفقدان الكثير من هذه الإمكانات الكبيرة من خلال العزل والاستبعاد.

حقوق الثقافة الكردية

وأوضح يشار كمال أنّ اعتراف تركيا بمختلف مجموعات سكّانها وأقلّياتها العرقية يشكّل بالنسبة لتركيا مسألة بقاء. وقال إنّ "هذا ينطبق على الأتراك وكذلك على الأكراد". وأضاف يشار كمال أنّه يستطيع بصفته كاتبًا أن يُقدّر وبشكل جيّد حجم الضرر الذي لحق باللغة الكردية من خلال حظرها الذي استمر فترة طويلة في تركيا.

وقال يشار كمال لهذا السبب لا توجد في تركيا أعمال مهمة مكتوبة باللغة الكردية". وكان مضمون كلام هذين الروائيين أنّ المجتمع والأدب مرتبطان ارتباطًا وثيقًا. وقال غراس إنّ "الأدب كان يعالج دائمًا الرفض الاجتماعي والسياسة".

قوة الشعراء والمفكّرين

ونشر كبيرا الأدب المعاصر في أثناء لقائهما في برلين روح الحيوية وحماسة الشباب للكفاح – وفي القاعة المكتظة وكذلك في فترة توقيعهما على نسخ رواياتهما احتفى بهما القرّاء. وغونتر غراس الذي يبلغ من العمر واحدًا وثمانين عامًا انتقد قبل كل شيء الحكومة الألمانية الاتحادية وشهّر بتعامل تركيا مع مسألة المذابح التي تعرّض لها الأرمن والتي وصفها هذا الكاتب الحاصل على جائزة نوبل بأنّها "إبادة جماعية".

وذكّر يشار كمال مرة أخرى بأنّ "السجن مدرسة الكتّاب الأتراك". وقال الكاتب يشار كمال الذي يبلغ من العمر خمسة وثمانين عامًا سوف نكون دائمًا شوكة في عيون الأقوياء". وأضاف مستندًا على قدوته ومثاله جواد شكير Cevat Sakir، "صيّاد هاليكارناسوس Halikarnassos"، قائلاً الذين يكتبون أغاني الشعب هم أقوى بكثير من الذين يصنعون القوانين".

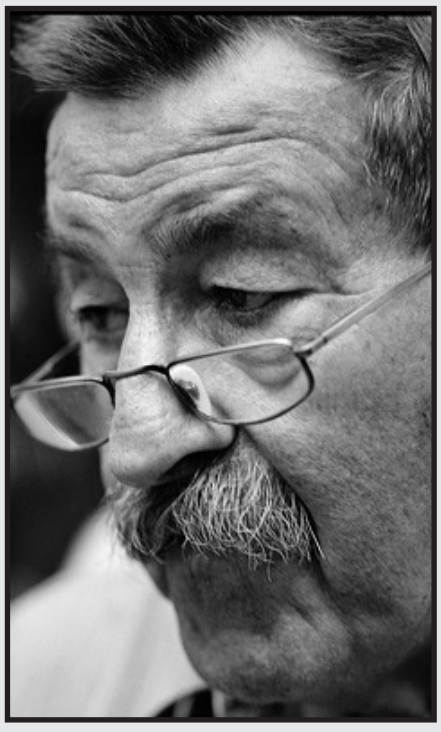

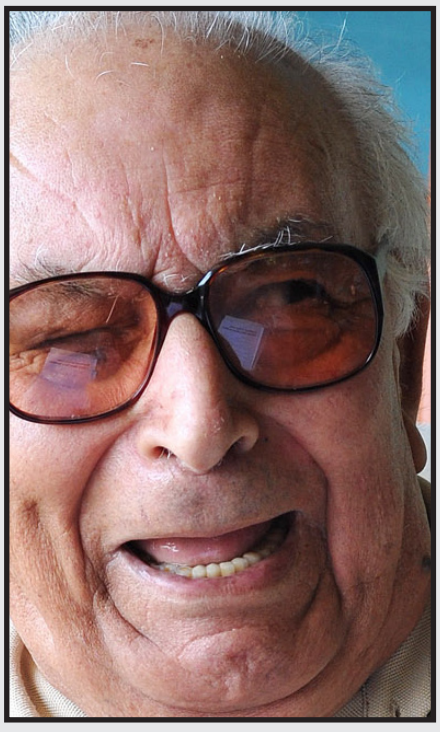

يشار كمال..والصراع بين الانسان والطبيعة

كثيرا ما تحول الحواجز التاريخية واللغوية دون ان يتعدى الادب بعض البلدان الى خارج حدودها الجغرافية، برغم ما يحمله هذا الادب من شروط ابداعية عالية وما يتناوله من قضايا انسانية عامة. منذ فترة بعيدة وأنا احاول ان اكتب عن الادب الكردي. وقد حفزني على ذلك قراءة بعض كتب الاديب الكردي يشار كمال، حيث امتلكت كتاباته كل مواصفات القصة العالمية من حوار وشد ومحلية تكاد تمثل التصاق الانسان بأرضه حتى لتكاد ترى الطين وهو يغطي اجساد تلكم الشخصيات التي وصلت حد الانسحاق وتعيش من دون مستوى خط الفقر المتعارف عليه. لقد شممت رائحة الطين من خلال السطور التي يكتبها يشار كمال ممزوجة برطوبة المستنقعات وعفونة الماء الآسن.

عبد الهادي فنجان الساعدي

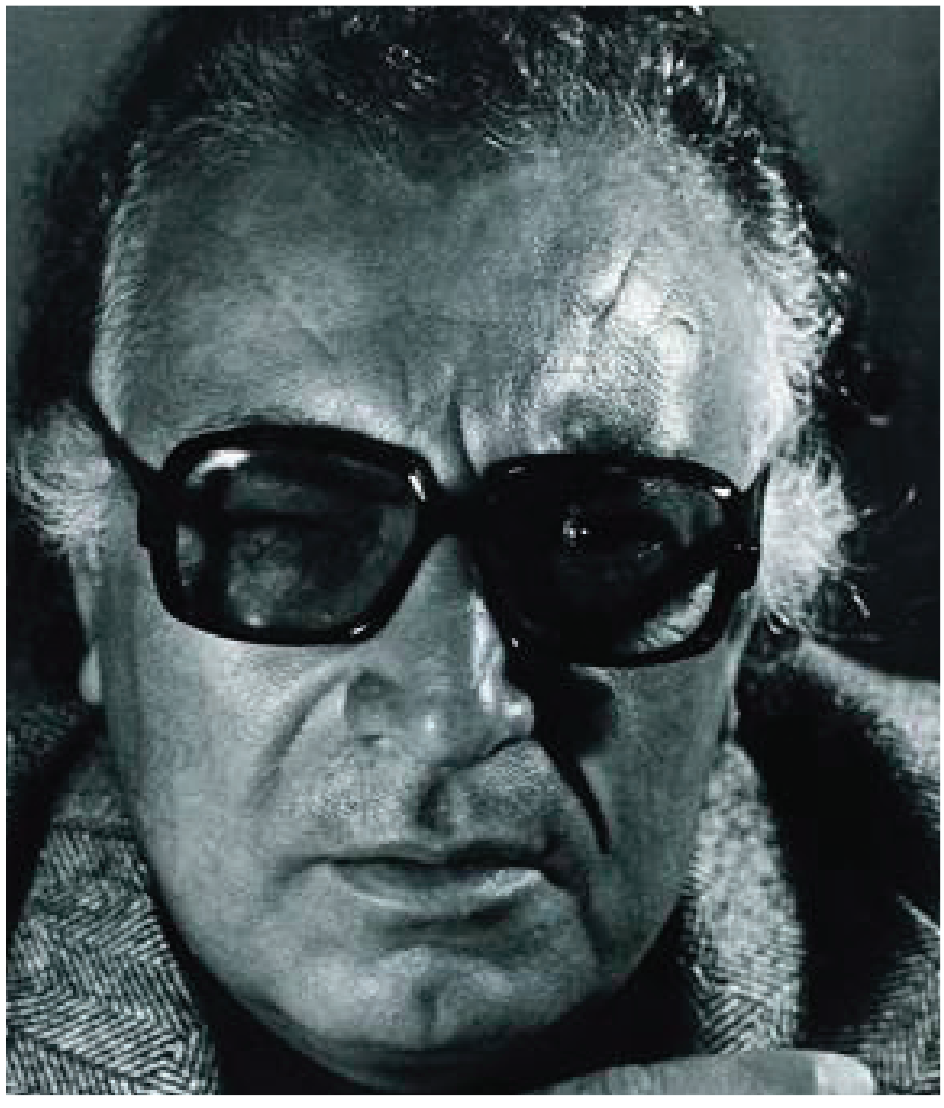

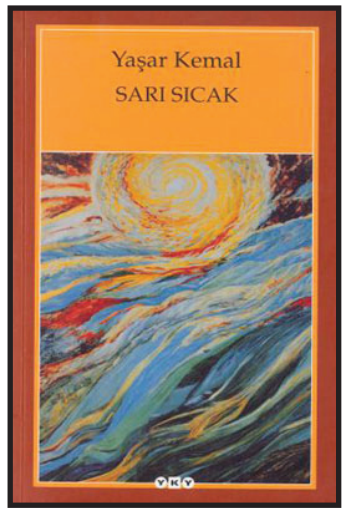

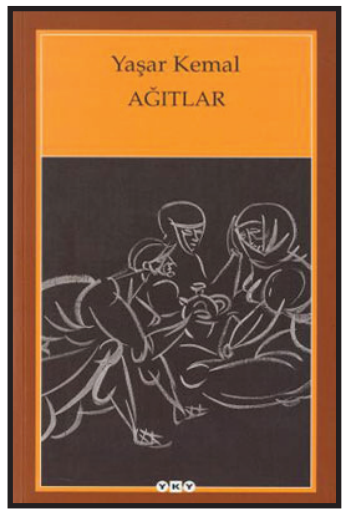

ان كتاباته آسرة الى درجة انك تشعر بالغثيان عندما تقرأ عن حياة الناس في الارياف في فصل الصيف. لقد استطاع ان يخلد قريته "جوقور آوا" كما خلد بدر شاكر السياب جيكور.

"ومنذ عام ١٩٧٥ واسم يشار كمال يتردد ضمن اسماء المرشحين لجائزة نوبل، وبرغم الملاحظات التي اثيرت حول طبيعة هذه الجائزة الا ان ترشيح اديب من احد بلدان العالم الثالث وبهذا الالحاح له دلالته واهميته من دون شك."

ان الترشيح لجائزة نوبل في الادب هو امنية الكثير من ادباء العالم وكتابه .. الا ان السؤال المهم الذي يراود النقاد باستمرار هو "هل ان هذا الكاتب استطاع فعلا ان يخدم الانسانية بكتاباته".. وبرأيي ان السؤال الاهم هو مدى ما قدمه هذا الكاتب لهؤلاء الناس المسحوقين الذين يعيشون في قرى نائية لا تتوفر فيها ابسط مستلزمات الحياة الطبيعية والانسانية.. ولذلك نراه في صراع مع الطبيعة مستمراً. ولا يستطيع الكاتب ان يزيف الحقيقة فيخلق الحلول التي بأمكانها ان تنقذ هذا الانسان من كوارث الطبيعة ومن قسوتها.. انما ينقلها لا بصورتها الطبيعية انما بصورتها الاكثر ضراوة والاكثر انسحاقا. وهنا تكمن قدرة الكاتب على نقل الاحداث لا بصورتها البدائية المجردة التي تحمل رؤية الكاتب الخاصة، لا في نقل الحدث او الواقع انما في نقل حتى فلسفة هذا الواقع واسبابه وشخوصه. وبهذا يدخل الكاتب في صلب الحدث ومن ضمن العوامل التي تحاول ابراز الكارثة لغرض معالجتها من دون ان ترى له أي ظل في سياق الاحداث.

لقد استطاع بقوة تقنيته الفنية ان يستقطب اهتمام النقاد العالميين حتى ان بعضهم وصفه بأنه "هوميروس القرن العشرين" وقال عنه الآن بوسكيه "انه اكبر روائي نعرفه الآن".

لقد استطاعت روايته "محمد النحيف" ان تجد طريقها الى العالمية بفضل امكانياته الواسعة في توظيف كل عناصر الطبيعة التي يواجهها الانسان.

ان اهم ما يميز هذا الكاتب الرائع هو انه يكتب من دون ان ينقطع عن جذوره "ان منطقة جوقور آوا، مسرح احداث قصص وروايات يشار كمال، مساحة حية، يتعامل معها كما يتعامل مع كائنات تنبض بالحياة. لقد وجدت الكثير من الكتاب يجحدون علاقة يشار كمال بالطبيعة الا ان النقطة التي وجدتها تشغل اعمق حيز في وجدانه هي الانسان، وخصوصا الانسان في صراعه مع تلكم الطبيعة البدائية القاسية، وبهذه النظرة يحصل التوازن في رؤية الكاتب الى الانسان والطبيعة وفي طريقة الصراع التي يديرها نتيجة معايشة ميدانية قريبة وراسخة في اعماق هذا الكاتب.

"ان عناصر الطبيعة تحوز مني على اهتمام مقارب لاهتمامي بالانسان ان لم يكن بذات المستوى وبالطبع لا أدعي انني من اكتشف هذه العلاقة بين الانسان والطبيعة لكني واحد من اولئك الذين تناولوا الطبيعة بشكل سليم في روايات عصرنا".

"اما شخصيات يشار كمال المنتقاة والمؤشرة بشكل فردي فهي التي تحتل احد جوانب الصراع الطبقي حيث هناك الاقطاعيون ورجال الطبقة المتوسطة كالتجار المحليين والبخلاء والبرجوازيين الصغار والاغوات. وفي الجانب المقابل تجد الفلاحين المسحوقين ومنهم من يعمل اجيرا لا يحصل الا على القليل بل حتى اقل من قوت يومه، ومنهم من يمتلك قطعة ارض صغيرة الا انه لا يمتلك وسائل الانتاج او حتى البذور، وتراهم يكدون ويكدحون نهارا ليواجهوا عناصر الطبيعة القاسية ليلا من حر وبعوض اضافة الى العوز الذي يصل حداً الا يجد احدهم فراشا بسيطا ينام فيه .. فينام على التبن وحالتهم هذه تذكرنا بجملة رائعة في قصة "ام الهند" التي تحولت الى فلم تراجيدي بالاسم نفسه حيث تقول البطلة "نقاسي الآلام وظهورنا منحنية في وهج الشمس" وبهذا تلتقي معاناة الشعوب الفقيرة وتكاد تتشابه في الحرمان ومواجهة قسوة الطبيعة من دون سلاح سوى اجسادها الغضة التي تبدأ بالذوبان تحت ضغط الفقر ومعاناة الحرمان.

"ان كل عمل من اعماله هو ضربة عنيفة من قبضة يد قوية ضد كل ما هو غير طبيعي وغير معقول في هذا العالم".

ان يشار كمال يعمل بهوس لاظهار جانبي المعادلة التي قلنا عنها في البداية وهي معادلة الانسان والطبيعة، وكل الاختلال في التوازن يكون على حساب احد طرفي المعادلة، ولذلك وجدنا انه ينحاز في بعض الاحيان الى الانسان فتهتز المعادلة ولكن في احيان اخرى نجده ينحاز الى عوامل طبيعية خارج ارادة الانسان، ضد هذا الكائن الذي يقف في بعض الاحيان مشدوها ازاء ما يحدث، وفي احيان اخرى يسقط عن المركب فلا يجد سوى الزيف وازدراء الاخرين له، وهذا ما وجدناه عند كاتبنا في معالجاته للمرأة البغي حيث يصفها بالقذارة على لسان ابطاله وفي بعض الاحيان تجد تلكم الكلمات التي تصف المرأة بالقذارة والدونية والسقوط والامتهان اللامتناهي، في الحين الذي يضعها الكاتب نفسه في خانة النخاسة، وضمن سلع البيع والشراء منطلقا في ذلك من نظرة اجتماعية عشائرية كما يصفها بدقة متناهية ونظرة دينية لا واعية متناسيا شروط الشريعة والفقه التي تدعو الى "درء الحدود بالشبهات" والى تحريم امتهان الانسان لأخيه الانسان من أي نوع او صنف او جنس، وبعيدا عن روح الوعظ فان ذلك التعليق ما هو الا اشارة الى اختلال التوازن الذي يطرأ على الكتابة في أي انجاز كان.

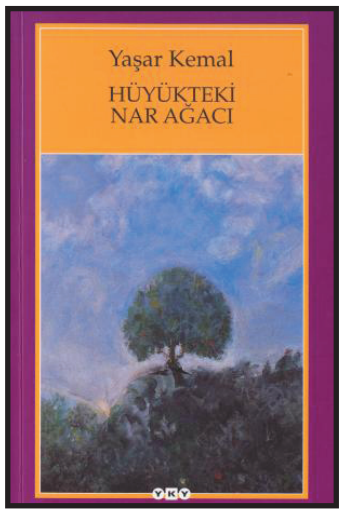

كاتب الرواية.. قارئ الرواية

سعد محمد رحيم

هل تعوِّضنا الرواية عما نفتقد، أي احتمال خلق حياة بديلة، بوساطة الكتابة، تمنّاها المرء ولم يعشها، على غرار ما تقول الروائية الفرنسية كوليت:

"أضع في رواياتي الحب الذي لم أحسه والذي أتوق إليه"؟

هل هي استعادة لحياة عشناها عبر الكلمات، أي أن نسترد صورة ما تشظى وتبعثر بحسب ما يقول محمد برادة؛ "أن نقصّ معناه أن نلملم أطراف المشتت والمتلعثم والمتآكل، والمنقسم، والوقح، والملتصق بالجلد والذاكرة لنعيد نسجه وتوليف عناصره واستثماره وفق ما يجعل النفس ترتج بحقيقتها وبحقيقة مجتمعها"؟، أو هي سعي من أجل الرؤية، كي نفضح ونصرخ، حيث يطبق الدجى ويتجلى رعب الوجود جرياً مع ما يقول يشار كمال "أنا اكتب من أجل أن يتحسس الإنسان طريقه وسط هذا الركام المفزع"؟. أو تراها محاولة لتكوين مشروع مناظر للحياة لتحمّل عبء الوجود؟. فها هي سيمون دي بوفوار تقر بأن مشروعها الأدبي هو حياتها نفسها "ولكي ترضيني حياتي ينبغي أن أعطي للأدب مكانه" وتقول؛ "إن الحياة يمكن،برغم كل شيء، بمعنى ما، أن تظل بالنسبة لي مشروعاً، في الحدود التي يتضمن فيها مشروع الكتابة".

قد تتوازى أو تتقاطع دروب الروائيين وقرائهم.. قد يكون الوازع الذي يقف وراء الروائي ويحظه على الكتابة هو غيره الذي يجعل القارئ ينهمك في فعل القراءة، لكنهما لابد أن يلتقيا في نقطة ما.. نقطة لولاها لانتفت الحاجة إلى الأدب الروائي كتابة وقراءة. وتلك هي لحظة التفاهم، وأكاد أقول التواطؤ بين الاثنين، إذ لابد من وجود هذه اللحظة. ولا بد من العثور عليها كي تتحقق كينونة الأدب بعدِّها معادلة من وجهة ما لكينونة العالم. ويلقي فرانك كيرمود في كتابه (الإحساس بالنهاية) هذا السؤال "كيف يمكن للرواية وهي تكذب، أن تحوّل الوجود إلى كينونة"؟ ويمكننا أن نتحفظ على كلمة (تكذب) مثلما وردت في سؤاله، لكننا، قطعاً، نتفهم مرماه، كون الرواية "عمل تخييل" لا تنقل الواقع فوتوغرافيا بل تنشئ واقعها الخاص البديل والمكافئ، متوافقين، في هذا، مع تحديدات تودوروف لقوانين الرواية، وهي قوانين غير مستقرة، كما يقر معظم النقاد.. ويستشهد كيرمود بسارتر القائل "إن الرواية ليست حياة، ولكنها مسؤولة عما لدينا من سلطة على أنفسنا" ليستدرك؛ "كما كان لها عليه (على سارتر) في طفولته، بالنظر لكونها تشبه الحياة بشكل ما. وجاء على لسانه مرة، إنه في الحياة جميع الطرق مسدودة، ومع ذلك فإن علينا أن نفعل، وبذلك نسعى إلى تغيير العالم، أي أننا نحيا (كما لو) كانت العلاقات بين الأشياء وإمكاناتها الكامنة لا تتحكم فيها الجبرية بل السحر".

أنعدّ السحر هو الحد المجازي الذي يلتقي عنده الكاتب بقارئه؟ إذن بمستطاعنا أن نرتب العلاقة بينهما لتكون ذات شقين، الأول: هو علاقة الساحر بمن يقع عليه فعل السحر (المسحور)، والشق الثاني هو علاقة الساحر بمن يُعرض عليه فعل السحر (المتفرج) حيث يجد القارئ نفسه في الموقعين في الوقت نفسه. ولكن لماذا يضع القارئ نفسه في هذين الموقعين؟ ما الذي يرغمه ويسحبه إليهما؟ إلى جانب هذا يمكن إضافة شق ثالث إذا ما أردنا أن نضيف فكرة مشاركة المسحور في فعل السحر، أيضاً، بعد أن يكون جزءاً منه، أي مشاركة قارئ الرواية في إعادة كتابة الرواية في مخيلته.

تساعدنا قراءة الروايات على فهم أنفسنا والعالم، ربما بأكثر مما تفعل قراءة أي نوع آخر من أنواع الكتابة، بما فيها الكتابات الخاصة بالعلوم الإنسانية مثل علوم الاجتماع والنفس والإنثربولوجيا، الخ. على الرغم من أنه لا غنى أبداً عن قراءة كتب هذه العلوم لأي مثقف ومتعلم .. بيد أن للرواية سحرها وجاذبيتها المميزين فضلاً عن الممرات غير المألوفة للمعرفة التي تفتحها أمام الذهن.. إنها تعين على تفهم الروح البشرية بتعقيدها وغموضها وتعرجاتها، الروح البشرية بنبلها ومواطن ضعفها، بمنحى الخير فيها وخطاياها، بتناقضاتها وصراعاتها وأسرارها، كذلك تجعلنا على تماس مع الخريطة الخفية للعلاقات الاجتماعية، والوقوع على شبكة القيم السائدة والمحركة لها.. لا شيء يقرِّبنا من لب الحقيقة غير عملية القراءة تلك. وحتى السياسيون والمفكرون الكبار يرون ألا مناص من المضي في قراءة الروايات ليدركوا ما لا يستطيعون إدراكه باعتماد الوسائل الأخرى. ففي سبيل المثال لا شيء يضيء لنا طبيعة وفحوى الروح الروسية، في القرن التاسع عشر، كروايات غوغول وليو تولستوي ودستويفسكي، ولا شيء يكشف لنا عمّا في الروح المصرية، في القرن العشرين، كروايات نجيب محفوظ. ولم يستطع أي أحد أن يسبر أعماق الرضّة الروحية للجنوب الأمريكي بعد هزيمته في الحرب الأهلية الأمريكية مثلما فعل وليم فوكنر في رواياته.

قراءة الروايات تعطيك شيئاً لا تقدر الأنواع الأخرى من فنون الأدب وحقول العلم والمعرفة الأخرى على إعطائك إياها.. هنا تكمن خصيصة الرواية وإلاّ لما استحقت أن تكتب على غلافها هذه الكلمة (الرواية)، فيما كتابة الرواية تتطلب شرط الاختلاف؛ أي أن يجترح الكاتب عالماً لا يستطيع اجتراحه أي نوع آخر من فنون الكتابة، ولهذا فإن الرواية ستستمر، وستكتبها أجيال جديدة طالما أن البشر لم يبتكروا بعد بديلاً آخر يعوّض عمّا يمكن للرواية أن تقدمه لهم، إنها تعطينا المتعة أولاً ومن ثم المعرفة.. أو المعرفة المبذولة بطريقة ممتعة ساحرة..

تنقلنا الرواية دائماً خطوة أبعد، في الفهم والتعرف والتكهن.. فهي مستودع أشياء كثيرة (شخصيات وأماكن وأزمنة وأحداث وتحولات تاريخية وجيوسياسية وطبيعية، وصراعات تاريخية وشخصية ونفسية، وفنون، وأفكار وشعر وبلاغة ورموز، الخ).. تطوي بين جناحيها العالم وتنظمّه وتحلّق به، من غير أن نرى صورة مصغرة، أو مكبرة، بدرجة ما، للعالم، في الرواية ستكون هذه الرواية رديئة، أو فاترة تبعث على النفور، وإذ ذاك ترانا نلقيها جانباً وقد خاب معها أفق توقعنا. والقارئ الطموح والواعي يمتلك أفق توقع واسعاً جداً، فهو يرغب مع قراءة كل رواية جديدة شيئاً آخر جديداً.. تلك هي معضلة وعلّة قلق ومسؤولية كل روائي يحترم ويخشى حكم قارئه.

يشار كمال

آلان بوسكيه

حوار نادر بين آلان بوسكيه ويشار كمال الدب التركي بأربعين أغنية

آلان بوسكيه شاعر، ومترجم، ومنظّر أدبي، ورسام فرنسي، وراصد لتحولات النص عبر الجغرافيات اللغوية والبشرية.. عاش في خضم ملحمة نصوص منتصف القرن الأدبية.. أحب سان جون بيرس، وكان من أوائل من قرأه وكتب عنه.. سان جون بيرس المنسي في حينه "الذي يسمونه الغامض والذي كان يسكن البرق".. وفي سياق هذا الكشف عن الروح الأدبي العالمي- الأونيفرسالي التقى بوسكيه الروائي التركي يشار كمال.

ترجمة: خالد النجار

× كيف تحدد نفسك؟

– أنا مثل الدب في موروثنا الشعبي التركي، كان هذا الدب يعرف أربعين أغنية، وكل أغنية تتعلق بتفاحة، وأنا لا أعرف إلا أغنية واحدة أغنية تتعلق بالطبيعة أو قل بقتل الطبيعة: إنها أغنية الانسان وإطاره المشهدي.

× من أين جئت؟

– من تشوكور أوفا في منطقة ميليسا القديمة على منحدر الطوروس، كان ابي وأمي يتكلمان الكردية، أما أنا فقد تعلمت التركية، وقريتي نفسها تسمى جوكسيلي، وتتكلم اللغة التركمانية.

كان أبي فلاحا، وقد قتل أمامي في احد الجوامع عندما كان عمري اربع سنوات، لقد أفقدتني هذه الصدمة الكلام لسنوات بعد تلك الحادثة.

× والطبيعة؟

– في قريتي حجارة ضخمة وتوجد خارجها سهول ممتدة لا تنتهي، وهي على التقريب مكان ولادة ديسقوريون اكبر علماء النبات في العصور القديمة، وماتزال هذه القرية أيضا تحمل ذكرى عالم كبير آخر هو لقمان الحكيم أحد أطباء العصر الوسيط الذي كانت تكلمه النباتات فتقول له انا اشفي هذا أو ذلك من الأمراض، وهكذا ساءل لقمان كل النباتات الأمر الذي ساعده على شفاء كل الأمراض.

وقد أراد أن يمضي أبعد من ذلك، أن يجد بلسماً للموت، فظل يسأل عبثاً الأزهار ونباتات الدغل واحدة، واحدة.

وفي احدى المرات كان نائما تحت شجرة وهو في أرذل العمر شيخا هرما بائساً؛ وإذا به يفيق من سباته على نبتة تقول له أنا أشفي من الموت، قطع لقمان الحكيم هذه النبتة وأسرع بها في اتجاه القرية لينشر خبرها العجيب. ولما كان على أحد الجسور مر طائر وأخذ منه العشبة بمنقاره.

بقصص من هذا النوع تغذيت وفي سنوات ١٩٢٨– ١٩٣٠ كان الشعراء الشعبيون التركمان ينزلون القرية ويظلون بها ثلاثة أيام بلياليها ينشدون ملاحمهم التي تتشابه مع القصص التي ذكرت وباتصالي بهم تعلمت كتابة أشعاري وإلقائها.

× والحضارة العصرية بهذه القرية؟

– هناك ستون منزلا ومخزنا للكبريت، ولكن هذا الشعب المنتجع استعمل الجرارات منذ زمن ليس بالقصير.. وقد اشتغلت بقيادتها وكانت أول الاعمال التي امتهنتها.. قريتي تتعاطى حياة نقية، حياة نموذجية اتمنى أن اعيشها اليوم.

× ما جانب الابداع والتخيل في أعمالك؟

– كل وجودي مشكل من الخيالي والواقعي، وأنا أحاول أن أكون خلاصتهما.

× هل لفلاحي قريتك وجود في أعمالك؟

– نعم، ولكن في صياغة أخرى، فروايتي محمد النحيل قُرئت من طرف ٤٥٠ ألف شخص وهو دليل على التعاطف.

بعد صدور ثلاثيتي: العمود وأرض الحديد، سماء النحاس، والعشبة التي لا تموت عدت الى قريتي والتقيت بطبيب ببطري يبلغ من العمر تسعين عاما، كنت عرفته في شبابي وقد قال لي في هذا اللقاء: أنا أعيش الآن في الجبل. وقد جعل مني هؤلاء الفلاحون الذين لا يحتملون نبيا سبع مرات، وأزالوا عني النبوة سبع مرات، وهذه إشارة الى رأس بولس، وهو أحد شخصياتي الروائية الذي يرد بكثرة في كتبي، وفي الحقيقة يولد بطلي من حادثة عادية مرت بي، ولكن بطريقة يؤثر فيها الواقعي على الخيالي والخيالي على الواقعي.

× هل تذكر بعض الحوادث؟

– الحوادث القديمة هي التالية: بين سنتي ٣٠ و١٩٣٣ عرفنا جفافاً لم نره من قبل وكان علينا ان نقنع بالبراعم غذاء لنا، كما كان في قريتنا احد الرعاة فيه شيء من البلاهة كان يقال انه عندما يغيب عنا فإنه يذهب الى مكة ويعود في مساء اليوم نفسه، وهكذا اعتقدوا فيه الولاية، فكانوا يقبّلون يديه ودام هذا الاجلال سنة ونصف السنة، بعدها ظهر دراويش آخرون، وفي أحد الأيام نزلت أمطار غزيرة أعادت للمنطقة خصبها وبدأ الأطفال يهزأون بالراعي الذي أحس بتخلي الناس عنه فرمى نفسه في النهر، وبعد أيام شاهدت جثته.

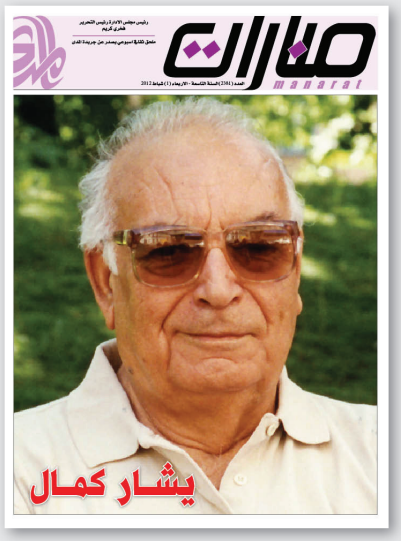

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

نائب رئيس التحرير
عدنان حسين

مدير التحرير
علي حسين

الاخراج الفني
مصطفى التميمي

التصحيح اللغوي
محمد حنون

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

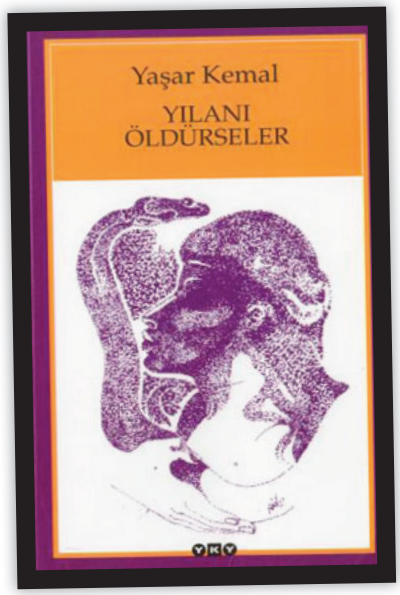

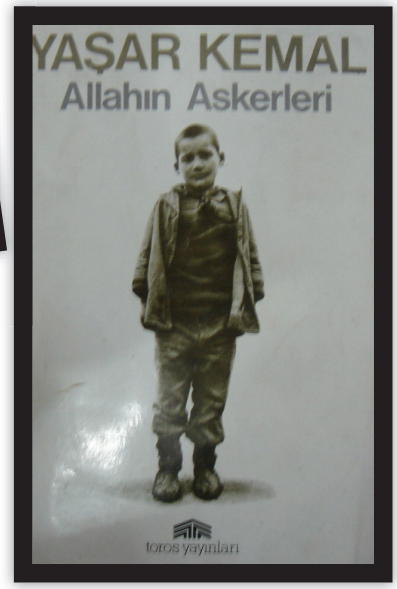

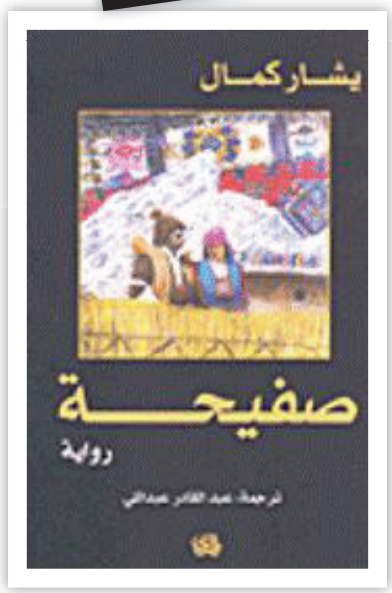

بعد هذه الأحداث بقليل غادرت القرية، وقد ولدت ثلاثيتي من هذه الأحداث، او على الأقل نستطيع أن نقول إن هذه الأحداث كانت نبعها ومفتاحها.

× هل إن لغتك تقليدية؟

– لقد طعمت اللغة الشعبية بلغة حديثة، وكان تحديثي على مستوى البنية والتركيب، أكثر مما كان على مستوى اللفظة والعبارة.

× من أي الكتّاب تحس بالتقارب؟

– لو كان هوميروس حيا لكتب مثل وليم فولكنر.. أنا أعود باستمرار الى ناظم حكمت وأعيد قراءة استندال قبل الشروع في كتابة كل كتاب جديد، التقيت مرة برجل موسوعي أهداني حقيبة مليئة بالكتب وكانت عبارة عن نسخ متعددة لكتاب الدون كيخوتي.

× وعن حرية الكاتب عندكم؟

– هذه الحرية تمر بحالات ضغط وبحالات انفراج; ففي سنة ١٩٥٥ حجزوا بعض الأعداد من الصحيفة التي كانت تنشر رواية محمد النحيل مسلسلة بحجة التطرف اليساري، وفي سنة ١٩٦١ عرفنا حرية تامة، وبين سنتي ٧١ و٧٣ عاد قلم الرقابة الى نشاطه، واليوم عدنا إلى ممارسة الحرية.. صحيح هناك قانون مجحف متمثل في الفصلين ١٤١ و١٤٢ من قانون المطبوعات التركي، ولكنه متروك.

× أي الكّتاب الأتراك يستحقون الترجمة الى الفرنسية؟

– هناك مثالان وان كان هناك كّتاب عديدون أذكر منهم أورهان كمال الذي كتب عن الاغتراب وأساليب الإفلات منه. وهناك فقير بايكوت الذي كتب الرواية الشهيرة المنحرفون وهي تتحدث عن نضال الفلاحين ضد البيروقراطية.

× لنحاول تحديد نظرتك للطبيعة التي تبدو حداثية هل ترى أنه من الإجرام إزالة غابة لبناء سد؟

– كان في منطقتنا ايام طفولتي ستة أو سبعة عشر غديرا، كانت هناك طيور وحشرات، زرافات وظباء، وأدغال قديمة. وقرابة عام ١٩٥١ تبدل كل شيء، أنا لست من المعادين للتحول، ولكنني أناضل ضد الهدم، لقد اختفت الغابات والمصانع التي حلت محلها لا تفيد كثيرا. إن الطبيعة جزء من دم الإنسان، إذ الإنسان ليس شيئا مجردا، لقد عاش دائما في الطبيعة وذلك قبل ظهور تقليعة حماة البيئة والايكولوجيا. لقد نشرت في سنة ١٩٥٣ سلسلة من التحقيقات حول اختفاء الغابات في آسيا الصغرى، وفي الفترة نفسها نشرت مسلسلا حول انقراض الدلفين بعنوان البحر الذي يغضب.
الإجرام الكبير ليس التكنولوجيا في حد ذاتها، وانما التكنولوجيا المتوحشة، سجينة الربح المادي والتنظيم الخاطئ، نحن نريد تكنولوجيا في خدمة الانسان تستطيع الإفادة من الطبيعة اذ تخلق وفي مستوى أعلى تناغما، وتكاملا بين الانسان والطبيعة، هذا اختيار، وعلى السياسيين القيام به وهو يتطلب نضالا يوميا كبيرا ومستمرا.

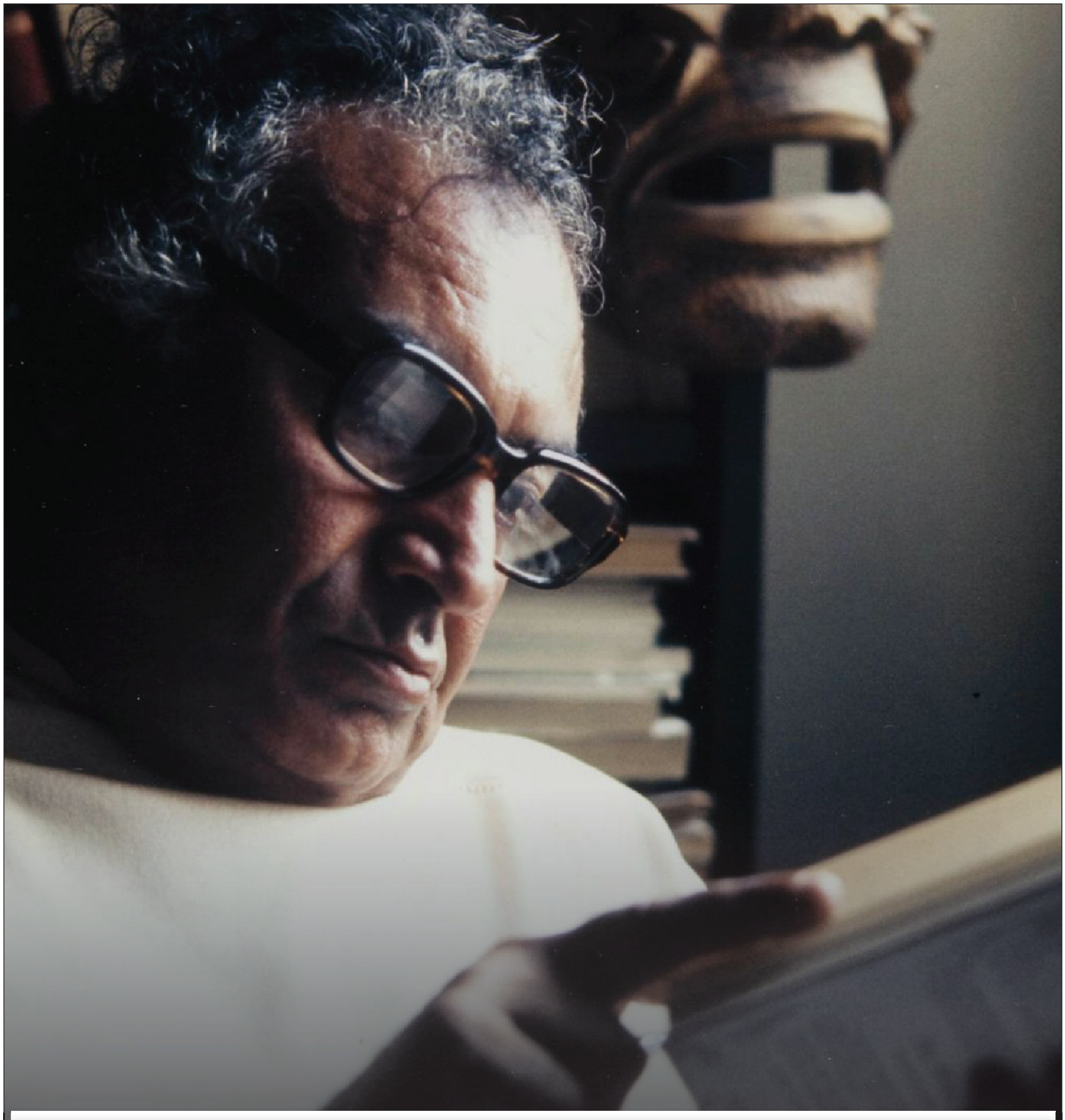

لـو كـلـمـة مـن "يـشـار كـمـال"

يوسف أبو الفوز

الروائي التركي "يشار كمال" واحد من ألمع الكتّاب في العالم، بل ويقترب اسمه من جائزة نوبل، وخلفه "جيش" من القراء في بلده تركيا وخارجها، فإن كانت قوافل الحرية التي تشق دروبها في البحر بطريقة لا تخلو من دراما روائية، موضوعاً جاذباً لمخيلة هذا الروائي صاحب النزعة الإنسانية، فإن الوسط الثقافي الذي ينتمي إليه يشار كمال كان يأمل منه أن يقول كلمة من قلب هذا الحدث الذي ملأت تداعياته العالم في الأسبوع الماضي، وذلك انطلاقاً من أمرين: الأول أن "كمال" روائي مسيّس وتتوجه بوصلة أعماله السردية إلى حرية الإنسان وكرامته وصون إرادته من الظلم، وهي قيم نبيلة يؤمن بها صاحب رواية "محمد أو ميميد الناحل"، ونظن أنه يعاين مشهد الظلم الواقع على أهل غزة، وكانت كلمة صغيرة منه وسط هذا الحدث السياسي والإعلامي، كفيلة بأن تؤثر في بعض مثقفي العالم الذين مازالوا مخدوعين بالبروباغاندا الصهيونية التضليلية .

الأمر الثاني الذي يجعلنا نأمل من "كمال" أن يتكلم بلغة تركية ثقافية صريحة، كما لغة أردوغان السياسية الصريحة، هو أنه مقروء جيداً على المستوى العربي، والكثير من أعماله الروائية منقولة إلى العربية، ويشكل حالة إبداعية قريبة من وجدان القارئ العربي، نظراً لقرب فضاءاته الثقافية والروحية من هذا القارئ الذي يحتفظ أيضاً بصوت ناظم حكمت الطليعي المقاوم، وهو صوت الحرية أيضاً . . الحرية المنبثقة من الشعر الذي يحفظ بعضه العرب غيباً، وربما لا مبالغة في القول إن الأشعار التركية المقاومة في النصف الأول من القرن العشرين، قد أثرّت في مسارات الشعر العربي المقاوم، والشاعر الراحل محمود درويش لو كان على قيد الحياة، ما كان له أن ينفي أثر هذا الشعر الإنساني عليه .

لهذه الأسباب ولغيرها كنّا نأمل من يشار كمال أن ينطق حروف غزة بلسان تركي مقاوم الى جانب آخرين من الكتّاب والمثقفين الأتراك الذين أعلن بعضهم صراحة رفضه لحصار غزة وتضامنه الكامل مع أسطول الحرية .

كل هذا جيد ولكن، ألا يحق لنا القول إنه قبل أن نطلب من الكتّاب والمثقفين الأتراك أن يتضامنوا مع قضيتنا العربية العادلة . . قبل ذلك ما الذي فعله الاتحاد العام للكتّاب والأدباء العرب؟ . . وما الذي فعلته اتحادات ونقابات وروابط عربية خلال حادثة أسطول الحرية؟ بالطبع لا شيء .

فالصمت الثقافي العربي تماهى مع الصمت السياسي وصار ظلاً له، وعليه شكراً ليشار كمال لأنه لم يتكلم، ولأنه لو فعلها لجعل وجوهنا تتصبب عرقاً.